مختـــارات مـــن
«كتاب التشبيهات مـــن أشعـــار أهـــل الأندلـس »

للشيخ أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب

(تحقيق: د/ إحسان عباس)

دراسة بلاغية

دكتورة

فاطمة محمد النجار

قسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر – بنات القاهرة

الزهراء

الزهراء

الزهراء

المقدمـــــة

لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي يقول: «إن من البيان لسحرًا».

أما بعد،،

التشبيه فن من فنون البلاغة له أثره وخطره، وتتمثل قيمته البلاغية في أن ينتقل بك من أصل المعنى إلى شيء طريف يحكيه، أو صورة بارعة يمثلها، وكلما كان الانتقال إلى شيء بعيد المنال، أو نادر المثال، كان التشبيه أملك للنفس، وأدعى إلى تطريبها، وانتزاع إعجابها، وهو الذي يدني القصي، ويذلل العصي، ويكشف الخفي، ويكسب المعاني رفعة وشرفًا، ويكسوها روعة وفخامة[1].

وقد أوضحت الدراسة أهمية كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس فهو يحتوي على نماذج مختارة من التشبيهات، في موضوعات شعرية مختلفة، فالجزء الأول من الكتاب يتناول الصور المتصلة بالطبيعة ومظاهرها المتنوعة، من سماء ونجوم وقمر، ورعد وبرق، وصبح، وهكذا إلى آخره. وفي الجزء الثاني، يتناول الصفات التي تتعلق بذكر الجمال والحسن الإنساني، مثل الوجه والعيون والخدود، وبعد ذلك ينتقل إلى المواقف العاطفية كالوداع والبكاء والسهر ومراعاة النجوم، والوقوف على الديار، ثم يتناول الصراع بين الإنسان والطبيعة من شتاء وصقيع وبحار،

(1) المنهاج الواضح في البلاغة، حامد عوني، ص 34.

وصيد الحيوان، والصراع بين الإنسان والإنسان، أي الحرب وما يتعلق بها وبآلاتها المختلفة.

أما الجزء الثالث، فيتناول الكتابة وأدواتها وبعض الآلات الحضارية، ثم ينتقل إلى الأخلاق من جود وبخل، ثم الاعتبار بالفناء وفي المشيب والهِرَم وذكر الموت وهكذا إلى آخره[1].

وقد قمت بشرح لبعض النماذج في الجزء الأول، وتوضيح الصورة البيانية فيها من تشبيه واستعارة وكناية، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وختم البحث بذكر المصادر والمراجع، والفهارس.

(1) انظر: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 20/1، تحقيق د/ إحسان عباس، طبعة دار الشروق 1981م – 1401هـ ط الثانية.

التمهيـــــد

الأندلس بلاد جميلة، خضرة وماء، وبساتين وأنهار، وجبال وسهول، وفاكهة ورياحين، ثم أضفت الحضارة الجديدة الوافدة عليها من الرقي ما جعل سكانها يحافظون على روح الجمال الطبيعي في بلدهم وينمونه ويزيدون فيه، فأصبحت الأندلس أغنية عذبة في فم الشاعر ينشدها وهو بين ظهرانيها، وأنشودة ساحرة على لسانه يرددها وهو مغترب عنها، وإذا كان الشعر في الأندلس ظاهرة أساسية من ظواهر البيئة فيه، فإنه لذلك قد تدخل في كل شئون الحياة وتخللها ووصفها وفرَّغ نفسه لها، واحتفى بها كل الاحتفاء[1].

والقول في تبيان قيمة هذا الكتاب أنه أوفى مجموعة شعرية وصلتنا تمثل عصر بني أمية والعامريين حتى أواخر الفتنة البربرية في تاريخ الأدب الأندلسي، فهذه الفترة لم تصلنا دواوين شعرائها وكل ما نملكه من الشعر الأندلسي الذي يمثلها قطع مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم، وقطعة لعدد من الشعراء أوردها الثعالبي في اليتيمة.

ومهما يكن من شيء فإن المؤلف قد حاول أن يعرض المجالات التي اتصلت بها ملكة التصوير عند الأندلسيين سواء أخضعت لترتيب موضوعي أو لم تخضع، وأنه قد أطلعنا من خلال هذه المختارات على مبلغ ما بذله الشعر الأندلسي من عناية بالصورة في دور مبكر من تاريخه حتى أصبح طلب

(1) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د/ مصطفى الشكعة، ص 23، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 9، 1997م.

الصورة فيه غاية كبرى، بل أصبح بعد زمن أكبر غاية، ومن الطبيعي أن يكون هذا الكتاب مصدرًا جديدًا[1].

واختيارات المؤلف تدل على عناية الشعراء الأندلسيين بالصورة البيانية، وفي مقدمتها التشبيه، يليه المجاز والكناية.

تعريف علم البيان:

هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه[2].

يراد بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في الوضوح: أن يتمكن المتكلم البليغ من التعبير عن المعنى الواحد بأساليب بعضها أوضح دلالة عليه من بعض من قبيل التشبيه المجاز والكناية، وذلك بحسب ما يقتضيه حال المخاطبين بتلك الأساليب[3].

تعريف التشبيه:

الدلالة على مشاركة أمر لأمر، في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظًا أو تقديرًا، لغرض يقصده المتكلم[4].

تعريف المجاز:

---

(1) انظر: كتاب التشبيهات ج 1 / 22 بتصرف.
(2) شرح السعد ضمن شروح التلخيص 3/57-59.
(3) الإيضاح 3/5.
(4) انظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص 3/292-293.

المجاز اللغوي إما مفرد أو مركب:

المجاز المفرد: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

المجاز المفرد إما مرسل وإما استعارة:

المجاز المرسل: إن كانت العلاقة المصححة غير المشابهة بين المعنى المجازيّ والمعنى الحقيقي، وإلا فاستعارة، فعلى هذا الاستعارة: هي «اللفظ المستعلم فيما شُبِّه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة»[1].

تعريف الكناية:

اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى[2].

* * *

(1) تهذيب السعد 141/1.

(2) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص 238/4.

مختارات من التشبيهات

المبحث الأول: في السماء والنجوم والقمر

قال عبادة بن ماء السماء الأنصاري[1]:

كـأنَّ السـماءَ قبـةٌ مـن زُمـرُّد[2] * وفيهـا الـدراري[3] مـن عقيـق[4] مَسـأمُر**

الشاعر يشبه السماء وفيها الكواكب المضيئة بالقبة وفيها العقيق، فالتشبيه هنا مركب من المشبه وهو صورة السماء الزرقاء وفيها الكواكب المشرقة، والمشبه به: صورة القبة وفيها العقيق اللامع المشرق، وجه الشبه: الهيئة الحاصلة من وجود أجرام مشرقة في وسط شيء أزرق، وهذا التشبيه من قبيل التشبيه التمثيلي عند الخطيب والجمهور، وتشبيه فقط عند عبدا لقاهر والسكاكي؛ لأن وجه الشبه مركب حسي.

وقال عباس بن ناصح يصف مغيب الشمس[5]:

وشمسُ النهارِ قد هَوَتْ لمغيبها * كعـذراءَ تبغـي فـي الحجـالِ[6] التواريـا[7]**

فالشاعر يشبه الشمس عند المغيب، بالفتاة الجميلة التي تستتر في الحجال، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من الاختفاء وراء ساتر، فالشمس

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 27/1.
(2) الزمرد: حجر كريم أخضر اللون شديد الخضرة شفاف.
(3) الدراري: الدري الكوكب المتلألىء الضوء (ج) دراري.
(4) العقيق: حجر كريم أحمر.
(5) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 27/1.
(6) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس.
(7) توارى: استتر.

تختفي وراء ظلمة الليل وتستتر، والفتاة تفضل الستر وراء الحجال. والمتأمل يرى أن الشاعر قد اختار لفظ «عذراء» وهو يقوي المعنى المراد؛ لأن من صفات العذارى الخجل والتواري عن أعين الناس، والتشبيه تمثيلي على رأي الخطيب والجمهور.

وقال سعيد بن عمرون في الهلال[1]:

والبـدرُ[2] فـي جـوِّ السـماءِ قـد انطـــــــــــــــــوى ** طرفـاهُ حتـى عـاد مثـلَ الـزورقِ

فتـراهُ مـن تحـتِ المُحَـاقِ[3] كأنمـا غـرقَ الجميـعُ وبعضُـهُ لـم يَغْـرَقِ **

في البيت الأول: شبَّه الشاعر القمر بالزورق، في التقوس والانحناء، وقول الشاعر: «قد انطوى طرفاه» كناية عن موصوف وهو الهلال، وتأكيد على انتهاء ليالي اكتماله؛ لأن القمر يكون بدرًا ليلة كماله، والشاعر أراد تشبيه القمر بالزورق عندما يكون هلالًا.

والبيت الثاني توضيح للبيت الأول؛ فالقمر في وسط السماء الزرقاء، قد اختفى جزء كبير منه وتبقى آخر يلمع، حيث صور السماء وكأنها بحر قد غرق فيه جزء كبير منه، وتبقى جزء آخر لم يغرق.

وهذا من قبيل التشبيه التمثيلي، حيث شبّه البدر وقد اختفى معظمه ولم يبق سوى جزء صغير منه يسمى الهلال بهيئة شيء غرق في البحر ولم يظهر سوى جزء منه وقوله «من تحت المحاق» من براعة الناظم

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 27/1.
(2) البدر: القمر في ليلة كماله.
(3) المحاق: تناقص جرم القمر وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله.

ودقته في الوصف، والغرق لا يكون في السماء وإنما في النظم والتصوير ما يوحي بأنه يشبّه السماء بالبحر لزرقتها.

وقال ابن المعتز أيضًا في الهلال:

انظـرْ إليــه كـزورقٍ مــن فضــة ** قــد أثقلتْــهُ حمولــةٌ مــن عَنْبَــرِ

فليس تشبيه ابن المعتز للهلال يرفع من شأنه أو يزيدنا شعورًا بجماله ولا أُنسًا برؤيته، فلقد صور لنا هذا الهلال الجميل صورة شوهاء متخيَّلة، فأين الزورق الضخم من الهلال النحيل[1].

انظر إلى بلاغة القرآن الكريم عندما أراد وصف الهلال في قوله تعالى: چئەئوئوئۇئۇئۆچ[2].

«العرجون القديم» قنو النخلة اليابس المنقوش[3]، فالمشبه الهلال، والمشبه به أعواد النخيل القديمة اليابسة، ووجه الشبه النقوس والانحناء.

«فهذا العرجون القديم أقدر على تصوير القمر كما تراه العين، وكما تحس به النفس، أكثر من تصوير الزورق الفضي له، فهذا القمر لا يزال ينتقل في منازله، حتى يصبح بعد هذه الاستدارة المبهجة دقيقًا نحيلاً مُحْدَوِدِبًا وكأنما هو في السماء كوكب تائه، لا أهمية بأمره، وإن وصف العرجون بالقدم يصور لنا هيئة الهلال في آخر الشهر»[4].

---

(1) التعبير الفني في القرآن الكريم ص 197، د/ بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1994م.

(2) سورة يس، آية: 39.

(3) التفسير الميسر، د/ محمد سيد طنطاوي، طبعة 2010-2011م.

(4) التعبير الفني في القرآن الكريم، د/ بكري شيخ أمين، ص 198.

قال محمد بن خطاب النحوي[1]:

ربَّ ليـلٍ جُبْتُـهُ[2] فـي فتيـةٍ[3] * كسـيوفِ الهنـد أو زُهْـرِ النجـوم**
طلـع البـدرُ بـه فـي صـورةٍ * تشبهُ التاجَ على الشَّعْرِ البهيم[4]**

هذا الليل قطعته في مجموعة من الفتية، وكانوا مثل سيوف الهند أو زهر النجوم.

أراد الشاعر أن يمدح أصحابه من الشباب فشبههم بالسيوف والنجوم، فالمشبه مفرد وهو قوله «فتية» والمشبه به متعدد، حيث شبههم بسيوف الهند في القوة والحزم واللمعان، ثم شبههم بزهر النجوم في الإشراق والظهور والإضاءة.

وفي البيت الثاني: في قوله «طلع البدر به» تأكيد على أن القمر كان يغطي بنوره المكان، حتى أن الشاعر شاهد أصحابه بوضوح، لذلك شبههم بالسيف أو بالنجوم الزاهرة.

وفي البيت شبّه البدر وسط ظلام الليل، بالتاج على الشعر الأسود، ووجه الشبه صورة مركبة من وجود شيء أبيض لامع وسط شيء أسود، والشاعر هنا لم يبرع في الوصف إذ أطلق لفظ (البدر) مع أن المعنى يدل على أنه هلال؛ لأن التاج يكون مقوسًا على الرأس كهيئة الهلال.

وقال يحيى بن هذيل في الهلال[1]:

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 28/1.
(2) جبهُ: جبا، وجبابا: قطعته.
(3) فتية: الفتى: الشاب أول شبابه بين المراهق والرجولة (ج) فتيان، وفتية.
(4) البهيم: الأسود.

يحكـي مـن الحاجـب المقـرون[2] ** فـانظرْ إليـه فمـا أخطـا ولا كـادا
شُـــــــــــــــــــــــــقْرَتَهُ[3]
لو التقى لحكى حِجْلًا[4] ولو قطعوا ** مـن دارةِ[5] الحجـلِ مـا أربـى[6] ولا زادا

«ويحكي» أي يشبه، فأداة التشبيه بدأ بها البيت والضمير في «يحكي» يعود على الهلال، حيث يشبهه بالحاجب المقرون بالبياض مع الحمرة، تشبيهًا تمثيليًا، حيث جاء المشبه مفردًا والمشبه به مركبًا، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود شيء مقوس أشرب بياضه حمرة.

وتظهر دقة الوصف في احتراس الشاعر، وذكر مزيد من الوصف فى قوله: «فانظر إليه فما أخطا ولا كادا» كناية عن الشكل المعروف به في هذا الوقت، فما غلط وحاد عن كونه هلالًا.

والهلال هو:غرة القمر إلى سبع ليالٍ من الشهر، والقمر في أواخر الشهر من ليلة السادس والعشرين منه إلى آخره[7].

وقوله: «لو التقى لحكى حجلًا» المعنى: لو التقى طرفاه لصار مثل الخلخال، ولو قطعوا دارة الحجل ما زاد ذلك منه.

---

(1) كتاب التشبيهات من اشعار أهل الأندلس 28/1.
(2) المقرون: قرن فلان قرنًا: التقى طرفا حاجبيه فهو أقرن، وهي قرناء الحاجبين: قُرن.
(3) شقرته: شقر – شقرا، شقرة: أشرب بياضه حمرة فهو أشقر.
(4) الحجل: الخلخال والقيد، جمع أحجال وحجول.
(5) الدارة: الدار – ومن القمر هالته، جمع دور، ودارات.
(6) أربى: على الشيء نحاه وزاده.
(7) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط 1421هـ - 2000م.

وفي البيت شبه الهلال في حالة التقاء طرفيه، بالخلخال، ووجه الشبه: الاستدارة.

وقوله «لو» دلالة على استحالة التقاء طرفاه، وإن كان عند اكتماله يلتقي طرفاه، والصورة في البيت زيادة تأكيد للصورة في البيت السابق، مع أنه هلالًا لم يكتمل.

وقوله «ولو قطعوا من دارة الحجل» زيادة توضيح يريد ان الخلخال قد يكون أحيانًا مقطوعًا أي لا يتصل طرفًا اتصالًا محكمًا، فلو كان الشكل كذلك ما زاد ذلك في الهلال لأنه سيظل طرفاه متباعدان.

وقال جعفر بن عثمان في الثريا[1]:

سألت نجوم الليل هل ينقضي الدجى[2] * فخطَّتْ جوابًا بالثريا[3] كخطِّ «لا»**

وما عن جوىً[4] سامرتها غير أنني * أنافسُها المجرى[5] إلى رُتَبِ العلا**

يصور الشاعر النجوم في صورة أشخاص يتحدث معهم ويتسامر، ومن خلال الحوار معهم يسألهم، هل ينقضي الليل؟ وتجيب النجوم برسالة خطية كتبت بالثريا «لا»، وتشبيه النجوم بالإنسان الذي يسأل ويجيب، لجأ إليها الشاعر للتشخيص الذي يجعل الطبيعة حية ناطقة.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 28/1.

(2) الدجى: سواد الليل وظلمته.

(3) الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور.

(4) جوى: مرض صدره واشتد وجده من عشق أو حزن.

(5) المجرى: (جاراه) مجارة، وجراء، جرى معه.

وجواب النجوم لم يكن كلامًا وإنما فعلًا، حيث خطت جوابها بالثريا، التي شبهها بحرف (لا) والتشبيه على رأي عبد القاهر تمثيلي؛ لأنه يحتاج تأويل، حيث شبه هيئة الثريا في السماء وقد تجمعت على شكل حرف النفي (لا).

ويعقب بعد ذلك على هذا الحوار الجميل مع النجوم، وينفي أن يكون هذا السمر من أجل العشق والوجد، ولكن لهدف آخر نبيل، هو المنافسة في الوصول إلى رتب العلا، فالشاعر جعل من الثريا أشخاصًا يتنافس معهم في الصعود إلى أقصى درجات الرقي والمجد.

والكلام على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه النجوم بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: «سألت – فخطت جوابًا – سامرتها».

وسؤال النجوم دلالة على استبطاء الوقت والشعور بالملل لطوله؛ لأن الشاعر مسهد العينين، وقد وضح الشاعر العلة من سؤاله للنجوم بقوله «أنافسها المجرى إلى ربت العلا» أي أدخل معها في منافسة الجري في المجرى لعلي أسبقها إلى العلا، والصوروة تؤكد تطلعات الشاعر وطموحاته في أن يصل المعالي.

وقال عبادة[1]:

ربَّ[2] ليـلٍ سـهرتُ فـي قمـرٍ ** مـدَّمن فَرْعِـهِ[3] عليـه حُلَـى

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 29/1.
(2) رب: أداة تفيد احتمال الوقوع، يقال: رب ضارة نافعة.
(3) فَرْعُ: الفرع من كل شيء: أعلاه.

والثريـــــا كأنهـــــا سُـــــئلَت * فأجابـــت عـــن الحبيـــبِ بـــلا**

يصف الشاعر ليلة قضاها ساهرًا، والقمر من أعلاها يملأ بنوره وجماله الكون، والثريا كأنها تتسامر وتتحدث ومن خلال حديثها يتصور أن أحدًا سألها عن الحبيب فأجابت بلا.

فالصورة فيها تشخيص للمعنى، يبرز جمال الاستعارة ويؤكدها في النفس، فالاستعارة هنا مكنية، حيث شبه الشاعر الثريا بالإنسان الذي يسأل عن الحبيب ويجيب بـ (لا) من خلال حواره مع إنسان آخر.

وقد لاحظ الشعراء أن هيئة مجموعة نجوم الثريا في السماء كأنها على شكل حرف (لا) والصورة مبتذلة في الوصف وإن كان الشاعر قد زاد فيها (سؤال الحبيب).

وقال جعفر بن عثمان[1]:

صـــف الثريـــا بمثلهـــا صـــفةً * فقلتُ: قُرْط[2] فصولُهُ[3] العنبرْ[4]**
سـماؤها فـي اعتـدالِ خُضْرتهـــا * زمـــرُّدٌ[5] والنجـــومُ كـــالجوهر[6]**

في البيت الأول: طلب الشاعر من رفيقه – على عادة الشعراء في الوصف يتخيلون من يحاورنه، أو ربما يكون من يحدثه شخصًا على

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 29/1.
(2) القرط: ما يعلق في شحمة الأذن من در أو ذهب أو فضة.
(3) الفصل: الفرجة بين الشيئين والحاجز بين الشيئين.
(4) العنبر: مادة صُلبَةُ لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سُجعت أو أحرقت.
(5) زمرد: حجر كريم أخضر اللون شديد الخضرة.
(6) الجوهر: من الأحجار: كل ما يستخرج منه شيء ينتفع به، والحجر النفيس الذي تتخذ منه الفصوص.

الحقيقة – أن يصف الثريا فقال: هي مثل القرط، فقد شبهها بالقرط المعلق في الأذن ومزخرف بالعنبر (تشبيه بليغ).

وفي البيت الثاني: قوله «سماؤها في اعتدال خضرتها زمرد»، شبه السماء بالزمرد في خضرتها، وقوله: «والنجوم كالجوهر» شبه النجوم بالجوهر في اللمعان والنقاء والصفاء من تشبيه المتعدد المفروق.

والبيتان متلازمان متممان للصورة معًا، فالضمير في البيت الثاني «سماؤها» يعود على «الثريا»، والمقصود من التشبيه في البيتين أن يريك الهيئة كاملة تملأ النواظر حسنًا: من طلوع الثريا والنجوم في السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلألأ وتبرق في أثناء تلك الزرقة.

وقال أيضًا[1]:

وكأن أثناء[2] الثريَّا إذا بَدَتْ ** قرطُ طريحٌ في بساطِ زمُّردِ
وكأنما لَبِسَ السماءُ مُلاءةً[3] ** خضراء تُرْصَف[4] من جمال العَسْجَدِ[5]

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 29/1.
(2) أثناء: (الثني) من الحبل طرفه، وثنيا الحبل: طرفاه، ومن الثوب ونحوه: ماثنى وكف من أطرافه جمع (اثناء).
(3) ملاءة: ما يفرش على السرير.
(4) رصف الأشياء: رصها بإحكام.
(5) العسجد: الذهب.

في البيت الأول: تشبيه تمثيلي حيث شبه هيئة الثريا وهي وسط السماء بخضرتها، بهيئة قرط ملقى في بساط من الزمرد الأخضر، ويقصد بالخضرة هنا (زرقة السماء) كثيرًا ما وصفها الشعراء بالخضرة، فلم يكن العرب يفرقون بين اللون الأزرق والأخضر.

وفي البيت الثاني: يصور السماء بخضرتها ووسطها النجوم اللامعة، بملاءة خضراء مرصوفة بالذهب، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من امتزاج اللون الأخضر بشيء لامع ومشرق (تشبيه تمثيلي).

وقال عيسى بن قرلمان، وكان القمر على الجوزاء[1]:

أرى أرجُـلَ الجـوزاءِ[2] غيـر بَـوارحٍ * وأيـدي الثريـا[3] كالسـقيم[4] صـحيحُها**

وهمَّتْ[5] ولم تمضـيِ السبيـلَ كأنهـا * مـن الأيـن[6] صَـرْعى[7] أَثْخَنَتْهـا[8] جروحها**

وللبـدرِ إشـراقٌ عليهـا كأنـه * رقيـبٌ[1] علـى ألاَّ يـتمَّ جنوحهـا[2]**

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 29/1.
(2) الجوزاء: برج من بروج السماء.
(3) الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور.
(4) السقيم: الذي طال مرضه فهو سقيم.
(5) همت: بالأمر – همًّا: عزم على القيام به ولم يفعله.
(6) الأين: (آن) أنيا: أعيا وتعب.
(7) صرعى: صرعه: طرحه على الأرض.
(8) ثخين: أثخنته الجراحة، أوهنته.

يتصور الشاعر أن الجوزاء جالسة في مكانها، وأن أيدي الثريا الصحيح منها كالمريض، وقد حاولت السير ولكنها لم تستطع من شدة التعب، فطرحت على الأرض وقد أوهنتها جروحها، والبدر يقف كأنه رقيب عليها حتى لا تميل.

وفي قوله: «أرى أرجل الجوزاء غير بوارح» شبه الجوزاء بالإنسان الجالس على سبيل الاستعارة المكنية، ولم يقل جالسة وإنما قال: «غير بوارح» للتأكيد على ثباتها واستقرارها، ثم جعل للثريا أيدٍ على سبيل الاستعارة المكنية، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (أرجل، أيدي).

وفي قوله: «وأيدي الثريا كالسقيم صحيحها» يشبه صحيحها بالسقيم، يكني بذلك على استقرارها وبقائها؛ لأن السقيم يطول مرضه فيعجز عن الحركة.

وفي البيت الثاني: استعارة مكنية: حيث شبه الثريا بالإنسانه التي عزمت على القيام بأمر ولم تستطيع فعله فكأنها من التعب طرحت على الأرض في حالة ضعف ووهن من شدة الجروح.

كما يشبه هيئة عدم قدرة الثريا على الهم والعزم للقيام والتحرك بسبب الأين، أي الإعياء والتعب بهيئة الصرعى اثخنتها جروحها، تشبيهًا

(1) الرقيب: من يلاحظ أمرًا ما، والحارس، والحافظ.
(2) جنح: مال.

تمثيليًا من تشبيه المحسوس بالمحسوس، ووجه الشبه عدم القدرة على الحركة، والمعنى في ذلك تأكيد للمعنى في البيت السابق.

وفي البيت الثالث: تشبيه: حيث يشبه البدر بالرقيب، الذي وقف يحرس ويلاحظ أمر ما.

وقال محمد بن الحسين[1]:

والجـــوُّ أزرق والنجـــومُ كأنهـــا ** ذَهَبٌ تسربـلَ[2] لازوردًا[3] أزرقا

وكأنمـــا الجـوزاءُ فيـــه تقلّـدَتْ[4] ** ســـيفًا، حمائلُـــهُ[5] المجـــرةُ[6]، مُعْرَقـــــــــــــــــا[7]

البيت الأول: تشبيه تمثيلي: حيث شبه النجوم وهي في وسط السماء الزرقاء، بالذهب وسط اللازورد الأزرق، وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء لامعة وسط أشياء زرقاء.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 30/1.
(2) تسربل: بالسربال: لبسه – السربال: القميص أو الدرع، أو كل ما لبس.
(3) اللازورد: من الأحجار الكريمة، لونه أزرق سماوي، أو بنفسجي.
(4) قلد: القلادة: جعلها في عنقه، وفلانًا السيف، ألقى حمالته في عنقه.
(5) الحِمَالَة: عِلاقة السيف جميع حمائل.
(6) المجرة: مجموعة كبيرة من النجوم تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.
(7) أعْرَقَ: الشجر: امتدت عروقه في الأرض.

وقوله: «والجو أزرق» كناية عن السماء، وقوله: «وكأنما الجوزاء فيه تقلدت سيفا» استعارة مكنية، فقد شبه الجوزاء بالفارس الذي تقلد سيفه، وقوله: «حمائله المجرة معرقا» شبه حمائل السيف بالمجرة، ووجه الشبه: هو الشكل الذي يشبه الوشاح، وقد أكثر الشعراء من وصف الجوزاء بمن تقلد سيفًا.

وقال طاهر بن محمد يذكر جملة من النجوم[1]:

وليـــلٍ بـــتُّ أكلـــؤُهُ بهـــيمٍ ⁂ كـــأنَّ علـــى مفارقـــه غرابـــا
كـــأن ســـماءَهُ بحـــرٌ خضـــمٌّ ⁂ كســـاهَ المـــوجُ ملتطمًـــا حَبابـــا
كـــأن نجومَـــهُ الزَّهْـــرَ الهـــوادي ⁂ وجـــوهٌ أخْضَـــلَت تبغـــي الثوابـــا
كـــأن المستـــــسرَّةَ فـــي ذراه ⁂ كمـــائنُ غـــارةٍ رَقَبَـــتْ نهابـــا
كـــأن الـــنجمَ مُعترضًـــا وُشَـــاةٌ ⁂ تُســـارقُ فيـــه لحظًـــا مســـترابا
كـــأن كواكـــبَ الجـــوزاءِ شَـــرْبٌ ⁂ تعـــاطيهمْ ولائـــدُهمْ شـــرابا
كـــأن الفرقـــدين ذوا عِتـــابٍ ⁂ أجـــالاً طـــولَ ليلهمـــا العتابـــا
كـــأن المشـــترى لمـــا تعـــالى ⁂ طليعـــة عســـكرٍ خَنَســـوُا ارتقابـــا
كـــأن الأحمـــرَ المـــريخَ مُغْـــضٍ ⁂ علـــى حَنَـــقٍ يشـــبُّ بـــه شـــهابا
كـــأن بقيـــة القمـــرِ المـــولِّي ⁂ كئيـــبُ مـــدنَفٌ يشـــكو اجتنابـــا

ففي قوله:

وليـــل بـــت[2] أكلـــؤه[3] بهـــيم[4] ⁂ كـــأن علـــى مفارقـــه[5] غرابـــا

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 30/1.
(2) بات: أدركه الليل نام أو لم ينم.
(3) أكلؤه: أرعاه.
(4) البهيم: الأسود، وليل بهيم لا ضوء فيه إلى الصباح.
(5) المفرق: من الطريق: الموضع الذي يتشعب منه طريق آخر (ج) مفارق.

قد بت أرعى هذا الليل المظلم الذي يغطيه السواد من كل جانب، كأن في كل جانب منه يقف غراب أسود.

فقد شبه سواد الليل وظلمته بشدة سواد الغراب، وفي قوله «كأن على مفارقه غرابا» كناية عن شدة السواد، وقوله «بت أكلؤه» كناية عن سهده ويقظته، ثم أخذ يسترسل في وصف الليل بمفرداته وما يحتويه من سماء ونجوم وكواكب، ويركز على وصف النجوم والكواكب، وذلك من إبداع الوصف حيث ينتقل الشاعر من وصف لآخر، ويتوغل في التصوير حتى يأتي على أجزءا الصورة كلها.

وفي قوله:

كـــأن ســـماءَه بحـــر خضـــم[1] * كســـاه المـــوج ملتطمًـــا حبابـــا[2]**

والمعنى: أن سماءه وفيها النجوم مثل البحر الواسع، قد كساه الموج عند اختلاطه فقاقيع تظهر في وسط الماء، والبيت كله تشبيه تمثيلي دقيق من تشبيه المحسوس بالمحسوس، فالمشبه: السماء الزرقاء وفيها النجوم، والمشبه به: البحر الأزرق وعليه تظهر الفقاقيع، ووجه الشبه: هو وجود أشياء صغيرة لامعة مضيئة وسط شيء أزرق.

وقوله:

كـأن نجومـه الزهر[3] الهـوادي[4] * وجوه اخضلت[1] تبغي الثوابـا**

---

(1) خضم: البحر الواسع.
(2) الحباب: فقاقيع تظهر على وجه الماء تصنعها الريح.
(3) الأزهر: كل أبيض صاف مشرق مضيء (ج) زهر.
(4) هود: مشى رويدًا وهاود فلانًا: وادعه وجاراه.

قوله: «وجوه أخضلت» كناية عن صفة وهي الوضوء.

والبيت تشبيه تمثيلي من تشبيه المحسوس بالمحسوس: فقد شبه النجوم المشرقة المضيئة الوادعة، بالوجوه التقية المشرقة بالإيمان الندية المبللة بالماء للصلاة، تريد الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة لامعة.

وقوله:

كـأن المستـسرَّةَ[2] فـي ذراه[3] * كمـائنُ[4] غـارةٍ[5] رَقَبَتْ نـهابـا[6]**

شبه النجوم وهي مختفية في ستر الليل، بالكمائن التي يختفى بها الجند للهجوم على الأعداء، وهذه الكمائن قد رصدت نهابا.

وقوله:

كـأن الـنجمَ مُعترضًـا[7] وُشَـاةٌ[8] * تُسـارقُ[9] فيـه لحظًـا[1] مسـترابا[2]**

---

(1) أخضل: الشيء: ندَّاه وبلَّله.

(2) استسر: القمر أي خَفِيَ ليلةَ، والمستسرة: النجوم المختفية.

(3) ذرا: (الذرا) بالفتح كل ما استذريت به يقال أنا في ظل فلان وفي (ذراه) أي في كنفه وستره.

(4) كمن: في المكان كمونا: توارى واستخفى في مكمن لا يفطن له.

(5) الغارة: الاسم من (الإغارة) على العدو.

(6) نهب: الشيء نهبا أخذه قهرًا.

(7) اعترض: الشيء: صار عارضًا، واعترض دونه: حال، واعترض له: منعه، واعترض عليه: أنكر قوله أو فعله.

(8) وشى: فلان به إلى السلطان وشابه، نم به وسعى، فهو واشٍ جمع وشاة.

(9) سارقه: النظر، وسارق النظر إليه:طلب غفلة لينظر إليه.

كـأن كواكـبَ الجـوزاءِ شَـرْبٌ[3] * تعـــاطيهمْ ولائـــدُهمْ[4] شـــرابا**

في البيت الأول: يصور الشاعر النجم وقد وقف حائلاً أمام الوشاة، الذين يسرقون النظرات المريبة في الليل.

فشبه النجم بالإنسان الذي يقف حاجزًا أمام الشيء للحيلولة دون حدوثه، فالكلام على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي البيت الثاني قوله: «كأن كواكب الجوزاء شرب» تشبيه، فالمشبه: كواكب الجوزاء، والمشبه به شرب، ووجه الشبه: الاجتماع والسمر.

وقوله:

كـأن الفرقـدين[5] ذوا[6] عِتـابٍ[7] * أجـــالاً[8] طـــولَ ليلهمـــا العتابـــا**

كأن الفرقدين قد لام كل منهما الآخر وراجعه فيما كره منه، فالكلام استعارة مكنية، شبه الفرقدان بشخصين يعاتب كل منهما الآخر، وحذف

---

(1) لحظه: بالعين وإليه لحظًا: نظر إليه بمؤخر عينه فهو لاحظ.
(2) استربت: إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه.
(3) شَرْبٌ: القوم يشربون ويجتمعون على الشراب.
(4) الولائد: الإماء والجواري.
(5) الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به وهو المسمى: النجم القطبي، ويقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما فرقدان (ج) فراقد.
(6) ذوا: ذو بمعنى صاحب مثناه: ذوا، فيقال: هما ذوا فضل.
(7) عتب: عليه عتبا، وعتابا لامه وراجعه فيما كرهه منه.
(8) أجل – الأجل: مدة الشيء ويقال فعلت ذلك من أجْلك بفتح الهمزة وكسرها أي من جَرَاك، و(أجل) عليهم شرا أي جناه وهيجه.

المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو «ذوا عتاب» أي أصحاب عتاب.

وفي قوله:

كـأن المشـترى[1] لمـا تعـالى ⁂ طليعـةٌ[2] عسـكرٍ خَنَسـوُا[3] ارتقابـا[4]
كـأن الأَحمـرَ المـريخَ[5] مُغْضٍ[6] ⁂ على حَنَقٍ[7] يشبُّ[8] به شـهابا[9]
كـأن بقيـة القمـرِ المـولِّي ⁂ كئيبُ[10] مدنفٌ[11] يشكو اجتنابا

في البيت الأول: شبه كوكب المشترى لما علا وارتفع، بمقدمة الجيش الذي توارى في حالة انتظار، ووجه الشبه التواري والاختفاء، مع ظهور جزء صغير من الشيء المختفي، وقوله: «كأن الأحمر المريخ»

---

(1) المشترى: أكبر الكواكب السيارة.
(2) طليعة: الطليعة من الجيش ونحو: مقدمته.
(3) خنس: خنسا وخنوسا، تخلف وتوارى، وخنس الكوكب: توارى.
(4) الترقب، والارتقاب: الانتظار.
(5) المريخ: أحد كواكب المجموعة الشمسية.
(6) أغض عن طرفه: حوله عنه وعلى الشيء سكت وصبر.
(7) الحنق: الغيظ.
(8) شب: النار أوقدها.
(9) الشهاب: شعلة نار ساطعة.
(10) كئيب: مهموم وحزين.
(11) مدنق: دنق المريض – دنفا اشتد مرضه.

كوكب المريخ يسمى «بالكوكب الأحمر» فقد شبه كوكب المريخ الأحمر، بالشعلة الساطعة من النار، ووجه الشبه: هو اللون والظهور بوضوح.

وشبه كوكب المريخ بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: «مغض على حنق» استعارة مكنية، وجمال الاستعارة في تصوير كوكب المريخ وكأنه إنسان سكت وغض طرفه عما يحدث له، ولكنه في حالة غيظ شديد.

وفي البيت الثالث: استعارة مكنية: فقد شبه الشاعر القمر بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: «كئيب مدنف – يشكو»، وجمال الاستعارة في تشخيص المعنى، وجعل العقل والحياة للجماد، فقد صور القمر شخصًا يدبر ويتولى وهو حزين مريض، يشكو همه من ابتعاد الناس عنه.

وقال يوسف بن هارون[1]:

وآنسني[2] فيك النجوم برعيها * فدرّيُّها[3] خلّي[4] وبدر الدجى إلفي[5]**

كأن سماءَ الأرضِ نِطْعُ[6] * وقد فُرِشَتْ فيه الدنانيرُ للصرف زُمُرُّدِ[7]**

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 31/1.

(2) آنس: فلانًا يؤنسه إيناسًا لاطفه وأزال وحشته فهو مؤنس وأنيس.

(3) الدري: الكوكب المتلألىء الضوء (ج) دراري.

(4) الخل: الصديق.

(5) إلفي: ألف فلان إلفا: أنس به وأحبه.

(6) النطع: بساط من الجلد.

(7) زمرد: حجر كريم أخضر اللون شديد الخضرة.

يجلس الشاعر بالليل ويتصور أن النجوم تجلس معه وترعاه، فكواكبها أصدقاؤه، وبدرها أليفه الذي يأنس به ويحبه.

قوله: «وآنسني فيك النجوم برعيها» استعارة مكنية: شبه الشاعر النجوم بالإنسان الذي يؤنسه ويسهر على رعايته، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه قوله «آنسني، برعيها».

وقوله: «فدرّيَّها خلّي» شبه الكوكب بالصديق الذي يضيء الطريق لصاحبه ويهديه إلى الخير.

وقوله: «وبدر الدجى إلفي» تشبيه أيضًا فقد شبه البدر بالأليف، ووجه الشبه: الأنس والمحبة، والتشبيه مفروق، فقد جمع كل مشبه مع المشبه به.

وفي البيت الثاني: قوله «سماء الأرض» كناية عن موصوف وهو السماء الدنيا، وفيه أيضًا تشبيه تمثيلي، يشبه السماء في لونها وبها النجوم المضيئة اللامعة، ببساط من الزمرد الأخضر، وقد فرشت فوقه الدنانير المستديرة اللامعة، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء لامعة ومشرقة وسط شيء أخضر.

وقال المهزله[1]:

وكأنما زُهْرُ النجوم كواعبٌ[2] ** حَسَرَتْ[1] فأبدتْ في الشعور بياضَها

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 31/1.

(2) كواعب: كعبت الفتاة كعوبًا، نهد ثدْيها فهي كاعب (ج) كواعب.

وكأنمـــا فيهـــا الخفيـــةَ أعـــينٌ * نَظَـرَتْ وسـابَقَ فتحُهـا إغماضَـها**

يشبه الشاعر النجوم بالكواعب، ووجه الشبه: الإشراق والبياض، ويشبه النجوم المختفية بعض الشيء بالأعين التي تفتح، لتنظر ثم تغمض قليلاً، ووجه الشبه: الظهور والاختفاء.

وقال محمد بن إبراهيم بن أبي الحسين[2]:

وسعى علينـا بـالكؤوس مُنَطَّقٌ[3] * أجرى دمـي فأعـاض[4] راحًـا[5] من دم**
حتى بدا لي المشتري وقرينُـهُ الـ * مريخُ يرفلُ[6] وفي غلالةِ[7] عَنْدَمِ[8]**
قـال النديم فصفهما قلت: استمعْ * رمحـانِ فـي كفّـيْ كمـي[9] مُعْلَـم**
تبـعَ الكمـيُّ بـذَا فأخطـا طعنَـهُ * وأصـابهُ هـذا ففيـه دمُ الكمـي**

طاف علينا كوكب بكؤوس من الخمر حمراء اللون، ثم ظهر كوكب المشتري وقرينه المريخ يمشي في ثوب رقيق أحمر اللون، ثم طلب نديمه أن يصف له المشتري والمريخ فقال: هما مثل رمحين في كفي رجل شجاع، حاول طعن شيء فأخطأ طعنه، وأصابه الرمح الآخر ففيه دمه.

---

(1) حسر: كمه عن ذراعه كشفه.
(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 31/1.
(3) منطق: نطاق الجوزاء: ثلاثة كواكب في وسطها (ج) نطق.
(4) أعاض: عاوضه: بادله.
(5) الراح: الخمر.
(6) رفل: يقال: رف في ثيابه أو في مشيه.
(7) الغلاله: ثوب رقيق يلبس تحت الدثار.
(8) العندم: صبغ أحمر، وقيل هو دم الغزال.
(9) الكمي: لابس السلاح والشجاع المقدام الجريء.

الشاعر يرسم صورة الكوكب وكأنه إنسان يطوف بكؤوس من الخمر (استعارة مكنية)، ثم يصور المشتري وقرينه المريخ وكأنه إنسان يمشي في ثوب أحمر اللون (استعارة مكنية)، ثم يصورهما برمحين في يد رجل شجاع وأحدهما لونه أحمر تشبيه تمثيلي، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من وجود أشياء لامعة امتزجت باللون الأحمر.

وقال ابن هذيل[1]:

وكأن المقاتل[2] اغتاظ حتى ... أنفذَ الصُّبْحَ بالتقحم[3] طعنا
والسهى[4] في بنات نعشٍ[5] ... بين أضلاعها تبوَّأ كِنّا[6]
ضميرٌ

صور النجم سهيل وهو في حالة غيظ، وقد دخل الصبح ونفذت أشعة كالرماح التي تطعن النجوم، فقد شبه النجم سهيل بالمقاتل وهو في حالة غضب، وشبه الصبح بإنسان يهجم بقوة على الطرف المقابل وهو المقاتل.

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 31/1.
(2) المقاتل هنا: صفة لنجم ولعله السماك الرامح، أو هو سهيل، انظر كتاب التشبيهات ج 31/1.
(3) التقحم: قحم في الأمر رمى نفسه بنفسه فيه من غير روية.
(4) السها: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم، وهو الكوكب الخفي في بنات نعش.
(5) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي.
(6) كن: الشيء كنونا استتر والشيء كنَّا: ستره.

وفي البيت الثاني: شبه السهى بالضمير، ووجه الشبه الاختفاء، وفيه أيضًا استعارة مكنية: حيث شبه بنات نعش بالإنسان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الضمير، والاضلاع، على طريق الاستعارة المكنية.

وقال سعيد بن عمرون في النجوم[1]:

وكأنها في الحسن روضةُ نَرْجِسٍ * تفتُّـر فـي روضٍ مـن النمـام[2]**
وكأنما أعلى البروج[3] هياكلٌ[4] * محفوفـــة بمصـــابح الإظـــلام**
وكأنما صغرى النجوم يواقتٌ[5] * يجري بهنَّ عُبابُ[6] بحرٍ طام[7]**

البيت الأول: شبه النجوم بروضة من النرجس، وسط روض به نبات طيب الرائحة، ووجه الشبه هو وجود منظر جميل وسط أشياء أخرى جميلة المنظر.

وفي البيت الثاني: شبه البروج في ضخامتها بالهياكل التي يحيط بها الظلام، ووجه الشبه: صورة أشياء ضخمة محاطة بمصابيح وسط الظلام.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 32/1.
(2) النمام: نبت طيب الرائحة.
(3) البرج: الحصن، وأحد بروج السماء الإثنى عشر.
(4) الهيكل: الضخم من كل شيء، والهيكل العظمي: مجموع العظام التي يقوم بناء الجسد عليها.
(5) يواقت: ياقوت من الأحجار الكريمة.
(6) عب: البحر عبابًا: ارتفع موجه واصطخب.
(7) طما الشيء:طموا: ارتفع، وطما الماء: ارتفع وملأ النهر.

وفي البيت الثالث: شبه النجوم الصغيرة في وسط السماء بالياقوت الذي يجري في وسط بحر مرتفع الأمواج، ووجه الشبه هو وجود أشياء صغيرة الحجم لامعة وسط شيء أزرق، والتشبيه التمثيلي في الأبيات السابقة جسّد المعنى وأثر في النفس وحركها فأحست بجمال المنظرو سرت به.

وقال أحمد بن دراج[1]:

وقد حوَّمتْ[2] زُهرُ النجوم كأنها ** كواعبُ[3] في خُضْرِ الحدائق حُوْرُ[4]
ودارتْ نجومُ القطب حتى كأنها ** كؤوس مهًا[5] وافى بهنّ مدير
وقد خَيَّلَتْ زُهْرُ المجرَّةِ[6] أنها ** على مفرِقِ الليلِ البهيمِ قتير[7]

في البيت الأول: تشبيه تمثيلي من تشبيه المحسوس بالمحسوس، حيث يشبه النجوم المضيئة وهي تدور في السماء، بالفتيات البيض اللاتي يتجولن في حديقة خضراء، ووجه الشبه: صورة مركبة من وجود أشياء بيضاء مشرقة وسط شيء أخضر.

وفي البيت الثاني: يشبه نجوم القطب وهي تدور، بكؤوس بلورية بها ماء يدار بها، ووجه الشبه الصفاء والنقاء والإشراق.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 32/1.
(2) حوم: حول الشيء: دار.
(3) كعبت الفتاة كعوبًا نهد ثدْيها فهي كاعب (ج) كواعب.
(4) الحوراء: من النساء البيضاء.
(5) المها: البلور: أَمْهَى الشراب: أكثر ماءه.
(6) المجرة: مجموعة كبيرة من النجوم تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.
(7) القتير: الشيب.

وفي البيت الثالث: شبه مجموعة النجوم المعروفة بالمجرة، وهي وسط الليل المظلم، بالشيب وسط الشعر الأسود، ووجه الشبه وجود أشياء مضيئة لامعة وسط شيء أسود، والتشبيه تمثيلي من تشبيه المحسوس بالمحسوس.

والتشبيهات التمثيلية قد وردت كثيرًا في هذا المبحث؛ لذلك رأيت أن أوضح تأثيرها على النفس، فهناك أسباب جعلت للتشبيه هذا التأثير، واقتضت أن يصنع في النفوس صنيع السحر. فالتشبيه التمثيلي ينقل النفس من الخفي إلى الجلي، والمعروف أن العلم المستفاد من طريق الحواس يفضُل العلم المستفاد من جهة الفكر والعقل، ولأن التمثيل يجمع بين أمرين متنافرين مختلفين وذلك لأن التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كان إلى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب.

هذا والتشبيه التمثيلي يحتاج إلى الفكر، وإعمال الروية، وتحريك الخاطر، فمن المركوز في الطباع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب، أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى فكان موقعه من النفس أجل وألطف[1].

(1) انظر: أسرار البلاغة: مواقع التمثيل وتأثيره 92 وما بعدها. انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، 61-64. انظر: البيان في ضوء الأساليب العربية، د/ عائشة فريد 81-82.

المبحث الثاني: في انبلاج الصبح والريح

قال يوسف بن هارون[1]:

وكم ليلة قد جمَّعَتْنا وأدْبَرَتْ ** تنوحُ[2] على تفريقنا وتَلَهَّفُ
إلى أن بدا وجهُ الصباحِ كأنّما ** تَحَمَّلَ لقمانٌ وأقبلَ يوسف

في البيت الأول: شبه الليلة بالمرأة التي تنوح وتندب على فراقهم، وحذف المشبه به وهو المرأة، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النواح عن طريق الاستعارة المكنية، والقرينة إسناد النوح إلى الليلة.

وفي البيت الثاني: ذكر لقمان لطول العمر والسواد فشبه بذلك الليل، وذكر يوسف لجماله وقرن به طلوع الصبح[3].

وقال علي بن أبي الحسن[4]:

لاحظْ ظلامَ الدُّجى والصبحُ يحفزُهُ[5] ** كأنه جيشُ رومٍ يهزِمُ الحَبَشَا

يصور الصبح وهو يسوق الليل ويدفعه حتى يختفي ويظهر هو بنوره، فالشاعر يشبه ظلام الليل بجيش الحبشة في السواد، ويشبه الصبح بجيش الروم في البياض، والبيت هنا يجسد المعنى بصورة مركبة تصور معركة بين الصبح والليل، ينتصر فيها الصبح ويدفع بالليل حتى يختفي، ولتقريب الصورة إلى الذهن يشبهها بمعركة نشبت بين جيش الروم والحبشة وانتصر فيها الروم.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 33/1.
(2) نائحة ونواحه: المرأة على الميت: بكت عليه يجزع وعويل.
(3) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 33/1.
(4) المرجع السابق 34/1.
(5) حفز: حفزه: دفعه من خلفه، والليل يحفز النهار أي يسوقه.

وقال حبيب بن أحمد[1]:

قـد اغتـدى[2] والظـلامُ منتشـرٌ ⁂ علـى جميـع الـبلادِ عسـكَرُهُ[3]
والصـبحُ حيـرانُ فيـه مسـتترٌ ⁂ كمجـــرمٍ هَمُّـــهُ تَسَـــتُّرُهُ

يستيقظ الشاعر مبكرًا، والظلام مازال منتشرًا في جميع أنحاء البلاد، فشبه ظلام الليل بالجيش الذي ينتشر عسكره في كل مكان، وشبه الصبح بالمجرم الذي يختفي ويتستر حتى لا يراه أحد، والشاعر هنا لم يحالفه الصواب في تشبيه الصبح بالمجرم؛ لأن الصبح فيه إشراق وبهجة ولا يحب التستر.

وقال المهند[4]:

وكـأنَّ وَجْـهَ الفجـر وَسْـطَ سمائِهِ ⁂ مـــن ســـودِ أرديـــة[5] الظـــلام أعاضَـــــــــــــــــــها[6]

خـودٌ[7] ألـمَّ بهـا الأَسَـى فـي أزرقٍ ⁂ برزتْ فشقّقَ حُزْنُها فضفاضـها[8]

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 34/1.
(2) الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس، وغدا: غدوا ذهب وانطلق غدا إلى كذا أصبح إليه.
(3) عسكر: القوم بالمكان تجمعوا، العسكر: الجيش.
(4) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 33/1.
(5) الرداء: ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة، والثوب يستر الجزء الأعلى من الجسم فوق الإزار، (ج) أردية.
(6) أعاضها: استعاض عن كذا بكذا، استبدله به.
(7) الخود: الشابه الناعمة الحسنة الخلق (ج) خود، وخودات.
(8) الفضفاض: من الثياب الواسع.

شبه الشاعر هيئة ضوء الفجر وسط السماء الزرقاء، وقد استبدل أردية الظلام السوداء، بهيئة الفتاة الجميلة التي ترتدي ثوبًا أزرق وقد شقق حزنها ثوبها، ووجه الشبه: وجود شيء مشرق ومضيء وسط شيء أزرق (تشبيه تمثيلي).

وقوله: «من سود أردية الظلام» استعارة، فقد شبه الظلام بإنسان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: «أردية» على سبيل الاستعارة المكنية.

وقال يوسف بن هارون[1]:

بدا الصبحُ من تحتِ الظلام كأنه ** خوافي[2] جَناحَيْ هَيْقَلٍ[3] باتَ حاضنا

وإلا فكالثوب السماويِّ مُعْلَمًا ** شقيقًا بدا في أسفلِ الثوب بائنا

يشبه الشاعر ضوء الصباح وقد ظهر من تحت الظلام، بمقدم جناح النعام الذي يحتضن فراخه تحت جناحيه، أو كالثوب السماوي المعلم الذي يظهر في أسفله شق واضح، ووجه الشبه في البيتين هو ظهور شيء واضح من خلال شيء آخر، فالشاعر يستخدم الطبيعة في تصويره عن طريق التشبيه التمثيلي.

وقال أحمد بن عبد ربه[4]:

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 34/1.
(2) الخوافي: ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.
(3) هيقل: ذكر النعام.
(4) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 34/1.

حتـــى إذا مـــا الليـــلُ قَـــوَّضَ[1] ** راحـــــلاً عنـــــد الغَلَـــــسْ[2]
وبـــــدا الصـــــباحُ كغـــــرَّةٍ[3] ** تبـــدو علـــى وجـــه الفـــرس

عندما يصل الليل إلى آخره، ويختفي الظلام، يظهر الصباح بنوره مثل الغرة على وجه الفرس، فالمشبه الصباح، والمشبه به الغرة ووجه الشبه: البياض والإشراق، من تشبيه المفرد بالمفرد.

وقال عباس بن فرناس[4]:

فبيتنـا وأنـواع النعـيم ابتـذالنا[5] ** ولا غيـر عينيهـا وعينَـي كـالي[6]
إلـى أن بـدا وجـهُ الصـباح كأنـه ** جبـينُ فتـاةٍ لاح بـين حجـال[7]

يصف الشاعر ليلة قضاها وهو يتمتع بكل أنواع النعيم، ولا يراه أحد سوى محبوبته، حتى ظهر نور الصباح، فقد شبه ضوء الصباح بجبين الفتاة الجميلة الذي يظهر من وراء الحجال، ووجه الشبه: الإشراق.

قال محمد بن وهيب البديهي[8]:

وريـــح جربيـــاءٍ[9] صـــابَحَتْنا ** لهـا فـي الوجـه رَشْـقٌ كالنبـال
تغوصُ على البراقع والحشايا[1] ** كغَوْصِ الطيفِ في سترِ الحجال

(1) قوض: نقضه وفرقه.
(2) الغلس: ظلمة آخر الليل.
(3) الغرة: بياض في جبهة الفرس.
(4) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 35/1.
(5) ابتذال: الثوب وغيره امتهانه.
(6) كالي: مراع ومراقب.
(7) حجال: وهو ساتر كالقبة، جمع حجلة، والسنور للعروس تزين بالثياب.
(8) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 35/1.
(9) الجرباء: ريح تجري بين الشمال والدبور.

هبت ريح قوية في الصباح، وهي من شدتها تضرب فوق الوجوه وتغوص من خلال البراقع والحشايا. فالشاعر يشبه شدة الريح برشق النبال على الوجه، فالريح تضرب الوجه بقوتها وتأثيرها وما تسببه من ألم، مثل رشق النبال على الوجه وما تسببه من جرح وألم. وهي أيضًا تغوص من خلال البراقع والحشايا، وتمر بسرعة عبرهما، كما يغوص الطيف بسرعة من خلال الحجال. والتشبيه في البيت الثاني صورة مركبة من سرعة مرور الريح من خلال البراقع والحشايا، بسرعة مرور الطيف من خلال الحجال.

وقال الحسن بن حسان[2]:

فجبتُ[3] بُسَاطَ الأَرض لم أكُ ساهيًا ... به غير شدو الجنِّ هتفًا إلى هتِف

كأن حنين[4] الريحِ في جَنَبَاتِهِ ... حنينُ المثاني والمثالِثِ في العزف

مشيت في الأرض فلم أسمع سوى صوت الجن كأنه يشدوا بالغناء. وفي البيت الثاني: شبه صوت الريح بالعزف على العود، ووجه الشبه هو إحداث صوتٍ جميلٍ، وقوله: «المثاني والمثالث» كناية عن موصوف وهو العود.

وقال ابن هذيل أيضًا[5]:

---

(1) الحشايا: جمع حشية: وهي الفراش المحشو.

(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 35/1.

(3) جبة: جبا، وجبابا: قطعة.

(4) حن: حنينًا صَوَّت، ومن العود: صوت عند النقر.

(5) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 36/1.

وَدَنَـــتْ فـــي هبوبهـــا مشـــيةَ النشـــــــــــــــوانِ[1] *** حيـــرانَ بالمـــدام[2] الشَّـــمولِ[3]
لصـــقتْ بـــالثرى كمـــا يخضـــعُ *** العاشقُ ذلاً[4] إلى الحبيب المَطول
ولقـــد خلـــتُ أن بينهمـــا عشـــقًا *** فصـــــارا للضـــــمِّ والتقبيـــــل
واختفـتْ عـن فـواطنِ[5] الخلـق حتـــــــــــــــى *** شـــبهوها ضـــآلة[6] بنحـــول[7]

يصور ريح الشمال وقد اقتربت وهبت وهي تشبه حالة السكران في مشيته، فقد شبه حركة الريح واضطرابها بمشية السكران، ثم صورها وهي تختلط بالثرى وتخضعه لها وهو يرتفع ويعلو معها وكأنهما عاشقان يضم كل منهما الآخر ويقبله، ثم اختفت عن أعين الخلق حتى تصوروا أنها هلكت من شدة الضعف والهزال، فشبهوها بالضآلة.

والمشهد هنا يبرز جمال الصورة وتشخيصها للريح من بداية هبوبها، وتشبيه مشيتها بمشية السكران، ثم يشبه التصاقها بالثرى بعاشقان يتبادلان الضم والتقبيل، ثم اختفاءها عن الأعين وفقدها وهلاكها وكأنها شيء محسوس ضاع وفقد.

---

(1) النشوان: السكران في أول مرة.
(2) المدام: الخمر.
(3) الشمول: ريح الشمال.
(4) تذلل: أظهر الخضوع.
(5) ح: نواظر، وهي أصوب، كتاب التشبيهات 36/1.
(6) ضل: الشيء ضاع وهلك، والضآلة: ما ضل من البهيمة للذكر والأنثى.
(7) النحول: الهزال.

وقال ابن هذيل[1]:

للصَّبا منَّةٌ على الروض[2] هادته ⁂ بطيب[3] الحبيب أيَّ ذمام[4]
وجرتْ بينه رواحًا[5] ليرتاح ⁂ علـى رضىً والتئام ويبقى
كالشفيقِ[6] الذي يؤلف ما بين ⁂ حبيبين بَعْدَ قَطْعِ الكلام

لريح الصبا فضل ومنه على الروض، فقد هادته بالطيب، وأعطته العهد والأمان، وجرت بينه ليشعر بالراحة والاطمئنان ويبقى على الرضى والالتئام، مثل الشفيق الذي يقوم بالصلح بين حبيبين بعد الخصام.

والرياح لها فوائد كثيرة، حيث تقوم بنقل حبوب اللقاح بين الأشجار والزهور، وتقوم أيضًا بنشر الرائحة الطيبة بينها في الرياض.

الشاعر يصور الريح وكأنها إنسان يدخل الروض ويهديه بالطيب، ويعطيه العهد والأمان، ويمشي بينه ليشعر بالراحة والاطئنان، ويصور الروض وكأنه إنسان يشعر بالراحة والرضى (استعارة مكنية)، ثم شبه الريح بالشفيق الذي يصلح بين الحبيبين، فكذلك الريح أصلحت ما بين الروض، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من الإصلاح بين الطرفين (تشبيه تمثيلي).

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 36/1.
(2) الروض: البستان (ج) روض ورياض.
(3) الطيب: ما يتطيب به من عطر ونحوه.
(4) الذمام: العهد والأمان والكفالة.
(5) الرواح: السير في أي وقت كان من ليل أو نهار.
(6) الشفيق: المشفق (ج) شفقاء.

وقال أيضًا[1]:

وَمُرِنَّـــةٍ[2] بعـد الـــرواح كأنمـــا ** فـــي نحرهـــا[3] صـــوتُ القريـــع[4] الهـــــــــــــــــادرِ[5]

قَرُبَتْ مـن الأسـماعِ وهـي بعيـدةٌ ** منهـا وغابـتْ فـي الهبـوبِ الحاضـر

فـــإذا التقـــى جمهورهـــا فـــي دوحـــــــــــــــــةٍ[6] ** فكـــأنَّ فيهـــا كـــلَّ ليـــثٍ هاصـــر[7]

وإذا اســتقلَّ[8] قتامهـــا[9] فكأنمـــا ** فيـــه التفـــافُ عســـاكرٍ بعســـاكر

الشاعر يصور الرياح وهي تسير بسرعة محدثة صوتًا كصوت البعير، فهي تسمع بوضوح بالرغم من بعدها، فإذا مرت هذه الرياح على الشجرة العظيمة جعلت فروعها تقف مثل رأس الأسد، وإذا اشتد غبارها الأسود كان مثل العساكر الملتفة حول بعضها.

فقد شبه صوت الرياح القوية بصوت البعير الذي يردد صوته في حنجرته، وجمال التشبيه في أنه جعل للرياح صدرًا يخرج منه الصوت مثل صوت البعير، وقوله «قربت من الأسماع» كناية عن الصوت القوي، وقوله «قربت من الأسماع وهي بعيدة منها» التضاد بين (قربت – بعيدة) يؤكد

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 36/1.
(2) مرنة: سحابة مرنان: مُصَوَّتةُ. أرنت: صاحت.
(3) النحر: أعلى الصدر.
(4) القريع: الفحل من الإبل.
(5) الهادر: هدر البعير أو الحمام هدرًا، وهديرًا ردد صوته في حنجرته.
(6) الدوحة: الشجرة العظيمة المتشبعة ذات الفروع الممتدة من شجر ما.
(7) هاصر: هصر الغص وبالغصن أخذ برأسه فأماله إليه.
(8) استقل: ارتفع.
(9) القتام: الغبار الأسود.

المعنى ويقويه، فبالرغم من البعد المكاني للسحابة فصوتها غريب منا لقوته.

ثم صور أن هناك لقاء بين مجموعة من الرياح فوق شجرة كبيرة متشبعة، ثم وصف هذه الشجرة بوصف دقيق فهي حين تلتقي فوقها الرياح تميل فروعها المتشبعة ويصبح كل فرع فيها مثل أسد مائل الرأس، وشبه ارتفاع غبارها الأسود في منظره بالتفاف عساكر بعساكر.

وقال علي بن أبي الحسين[1]:

خليليَّ[2] مالي كلَّما هَبَّت الصَّبا[3] * أَحِنُّ إلى الأُفْقِ[4] الذي تيمَّمُ[5]**
أكلِّفها حَمْلَ السلام إليكُمُ * فإن خطرتْ يومًا عليكمْ فسلموا**
كأنَ الصَّبَا عندي رسولٌ مُبَلِّغٌ * أبوح بأسراري إليه فيكتم**
إذا كدتَ أن أسلو[6] أجدَّ صبابتي[7] * كتابُ حبيبٍ أو خيالٌ مسلّم**

يخاطب الشاعر خليليه، ويقول: كلما هبت ريح الصبا أشعر بالحنين إلى الناحية التي تهب منها، وأطالبها بحمل السلام إليكم، فإن مرت عليكم يومًا فردوا السلام.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 37/1.
(2) الخليل: الصديق الخالص.
(3) الصبا: ريح مهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.
(4) الأفق: الناحية.
(5) تيمم الشيء: توخاه وتعمده وقصده.
(6) سلاه: نسبه وطابت نفسه بعد فراقه.
(7) الصبابة: الشوق ورقته وحرارته.

ويصور الصبا بأنها مثل الرسول، الذي يبلغ ما يطلب منه فقط، ويكتم الأسرار الأخرى التي يبوح بها إليه، وكلما اقتربت من النسيان أجد شوقي في كتاب من حبيب أو خيال يمر بخاطري.

والشاعر في البيت الثاني يخاطب ريح الصبا، ويطلب منها حمل السلام إلى أخلائه، ويطلب منهم أيضًا ردّ السلام معها، فقد شبه ريح الصبا بإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الخطاب وحمل السلام، على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي البيت الثالث يشبه الشاعر الصبا بالرسول، ووجه الشبه التبليغ، ثم يؤكد أن هذا الرسول يبلغ ويكتم الأسرار في نفس الوقت، وكذلك ريح الصبا.

وقال أيضًا[1]:

غَزَتْنَـــا[2] المُـــزْنُ[3] والرايـــاتُ ** بأجنـــــادٍ عليهـــــا قائـــــدانِ
دَجْـــــــــــــــــــــنٌ[4]
شـمالُ[5] قـد تباريهـا[6] قَبُـولُ[7] ** كأنهمـــا معًـــا فرســـا رهـــان[8]

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 37/1.
(2) غزا: العدو. غزوا: سار إلى قتاله.
(3) المزن: السحاب يحمل المطر.
(4) الدجن: انتشار الغيم في الجو.
(5) الشمال: الرياح التي تهب من تلك الجهة.
(6) تباري: الرجلان: تنافسا.
(7) القبول: ريح الصبا.
(8) الرهان: السباق.

سارت إلينا السحاب وهي محملة بالغيوم السوداء، ومحملة أيضًا بالمطر، ومعها ريح الشمال والصبا، وكأنهما معًا فرسا رهان يتنافسان للفوز بالسباق.

فالشاعر يشبه السحاب بالجيش، الذي يقوم بغزوة، ويرفع فيها الرايات، ويجعل لكل كتيبة من الجند قائد عليها، وكل قائد منهم يسعى لكسب المعركة.

في البيت استعارة: حيث شبه المزن بالجيش، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه قوله: «غزتنا – الرايات – أجناد» على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي البيت الثاني: يشبه ريح الشمال والصبا بفرسين، يحاول كل منهما كسب السباق.

فالصور كما ترى مليئة بالحياة والحركة والتصوير والتشخيص.

وقال أحمد بن فرج[1]:

وَرُبَّـت ريـحِ امتزجـتْ بنفـسي ** مـزاجَ المـاءِ بـالراحِ الـزُّلالِ
وجدتُ لها وبي للشوق ما بي ** كمـا وَجَـدَ المهجّـرُ بـالظلالِ
وبـات ثـرى العقيـق يـنمُّ عنهـا ** إلـىَّ بمثـل أنفـاسِ الغـوالي
فقـلْ فـي نشـوةٍ مـن نفـحِ ريـحٍ ** سُقيتُ بها الشَّمولَ من الشمال
سَـرَتْ فـي نـارِ أشـواقي سُـرَاهَا ** إلـى جَـدْبِ الثـرى بحيـا العزالـي

قول الشاعر:

وَرُبَّـت[1] ريـحِ امتزجـت بنفـسي ** مـزاجَ المـاءِ بـالراحِ[2] الـزُّلالِ[3]

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 37/1.

وجدتُ[4] لها وبي للشوق ما بي * كمـا وَجَـدَ المهجّـرُ[5] بـالظلال[6]**

في البيت الأول: تشبيه، حيث شبه امتزاج الريح بنفسه بامتزاج الماء بالخمر، ووجه الشبه الاختلاط والمزج بين شيئين.

وفي البيت الثاني شبه حبه واشتياقه للريح بحب المهجر للظلال، ووجه الشبه: إدراك ما يحبه ويتمناه.

وقوله:

وبـات ثـرى[7] العقيـق[8] يـنمُّ[9] عنهـــــــــــــــا * إلـىَّ بمثـل أنفـاسِ الغـوالي[10]**

شبه التراب الندي من أثر الرياح برائحة الطيب، ووجه الشبه الرائحة الزكية العطرة، وقوله: «أنفاس الغوالي» استعارة مكنية، حيث شبه الغوالي بالنساء، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله «أنفاس».

وقول الشاعر:

---

(1) رب: أداة تفيد احتمال الوقوع يقال: رب ضارة نافعة.
(2) الراح: الخمر.
(3) الزلال: الماء العذب الصافي البارد السلس.
(4) وجد: وبه وجدا، أحبه.
(5) الهجر: الهاجرة، الهجير، نصف النهار عند اشتداد الحر.
(6) ظل: ضوء الشمس إذا استترت عنك بحاجز (ج) ظلال.
(7) الثرى: الأرض، والندى والتراب الندي.
(8) العقيق: ضرب من الفصوص، وهو أيضًا وادٍ بظاهر المدينة.
(9) ينم: النمنم: الأثر تتركه الريح على التراب، واحدته نمنمة.
(10) الغوالي: جمع غالية، وهي أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر.

فقلْ في نشوةٍ[1] من نفحِ ريحٍ[2] ** سُقيتُ بها الشَّمولَ[3] من الشمال
سَرَتْ في نارِ أشواقي سُرَاهَا ** إلى جَدْبِ[4] الثرى بحيا[5] العزالي[6]

عندما هبت ريح الشمال بنسيمها، شربت بها الخمر باردًا، فأشعلت أشواقي كالنار التي تسري في الشيء، حتى وصلت إلى الأرض الجدباء فأنزلت عليها المطر فسقاها.

وقوله: «سرت في نار أشواقي سراها» شبه الأشواق بالنار التي تسري بسرعة. فمن المعروف أن الريح تساعد على اشتعال النار.

وقوله: «إلى جدب الثرى بحيا العزالي» شبه العزالي (المزادة) بالحيا، فالعزالي يشرب منها الإنسان فترويه من العطش، والمطر يسقي الأرض الجدباء بعد العطش، والتشبيه مؤكد من إضافة المشبه به إلى المشبه مع حذف الأداة في كلٍ.

(1) نشى: نشوة سكر أول السكر، وبالشيء أحبه وعاوده مرة بعد أخرى وانتشى فلان: بدأ سكره. والريح شمها.
(2) نفح ريح: نفحت الريح نفحًا ونفوحًا، نسمت وبدت حركتها والطيب انتشرت رائحته.
(3) الشمول: غدير (شمول) تضربه ريح الشمال حتى يبرد، ومنها قيل للخمر مشمولة: إذا كانت باردة الطعم (والشمول): الخمر.
(4) جدب: المكان جدبًا يبس لاحتباس الماء عنه.
(5) الحيا: المطر.
(6) العزالي: جمع عزلاء وهي فم المزادة من أسفلها، والمزادة: وعاء يحمل فيه الماء في السفر كالقربة وغيرها (ج) مزاد.

وقد عدد الشاعر فوائد الريح في البيتين: 1- طيب نسيمها. 2- جعلت الخمر باردًا. 3- أشعلت أشواقه. 4- أنزلت المطر فسقت الأرض الجدباء.

المبحث الثالث: في الربيع والزهر

قال عبد الملك بن نظيف[1]:

فـــي روضـــةٍ رشَـــفْت[2] لُعـــابَ[3] * حتـــى ارتـــوتْ[5] رشَـــفَ الصَّـــدى[6]**
غمامـــــــــــــــــــــــــــــــةٍ[4] الحـــــــــــــــــــــــــــــــرَّانِ[7]
طَلَعَتْ عليها الشمسُ فابتسمتْ لنا * عـــن مِثـــلِ نَظْـــم الـــدرِّ والمرجـــان**
وتبســـمتْ ريـــحُ الصَّـــبا فتعانقّـــت * أغصـــــانُها كتعـــــانق الولـــــدان**
وتقابلـــتْ أحـــداقَها[8] فكأنهـــا * حَـــدَقٌ شـــكَتْ وجـــدًا علـــى الكتمـــان**

في البيت الأول استعارة مكنية، حيث شبه الروضة بإنسان يرتشف اللعاب، ويشبه الغمامة أيضًا بإنسان له لعاب، شربت منه الروضة حتى ارتوت. وقوله: «رشف الصدى الحران» كناية عن شدة عطش الروضة، فقد شبه رشف الروضة للعاب برشف الحران للماء. فالشاعر يشخص الروضة والغمام في صورة شخصين يرشف أحدهما لعاب الآخر حتى يرتوي من العطش.

وفي البيت الثاني: يرسم لنا الشاعر لوحة جميلة لهذه الروضة بعد طلوع الشمس عليها، فيشبهها بفتاة جميلة تبتسم فتظهر أسنانها، وهي

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 47/1.
(2) رشف: الرشف المص.
(3) اللعاب: ما يسيل من الفم.
(4) الغمام: السحاب الواحدة غمامة.
(5) روى: من الماء وارتوى وتروى.
(6) الصدى: العطش.
(7) الحران: العطشان.
(8) أحداق: الحدقة: السواد المستدير وسط العين (ج) حدقٌ (جج) أحداق.

مثل الدر والمرجان، وهنا المشبه به محذوف وهو الفتاة ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله «ابتسمت» فالاستعارة مكنية.

وفي البيت الثالث: يشبه ريح الصبا أيضًا بفتاة، وحذف المشبه به فالاستعارة مكنية أيضًا، وعندما هبت ريح الصبا تحركت أغصان الروضة وتمايلت واقتربت بعضها من بعض، فشبه هذا الاقتراب والتشابك للأغصان بتعانق الولدان، وقوله «فتعانقت أغصانها» شبه الأغصان بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (فتعانقت) على طريق الاستعارة المكنية، وقوله «تعانقت» كناية عن صفة وهي الحركة والاقتراب.

وفي البيت الرابع: يشبه زهور الروضة بأشخاص يتبادلون النظرات فيما بينهم من شدة الحب والوجد لكن في صمت وكتمان، فالكلام استعارة، حيث حذف المشبه به وهو الأشخاص ورمز إليه بشيء من لوازمه قوله «أحداقها» على سبيل الاستعارة المكنية.

وقال سليمان بن بطال المتلمس[1]:

تَبَـــدَّت لنـــا الأرضُ مَزْهُـــوَّةً ⁂ علينـــا ببهجـــةِ أثوابهـــا
كـــأنَّ أزاهَرهـــا أكـــؤسُ ⁂ حَوَتهـــا أنامـــلُ شُـــرَّابها
كـــأنَّ الغصـــونَ لهـــا أذرعٌ ⁂ تُناوِلهـــا بعـــضَ أصـــحابها
تُرَى خَمْرُها منْ رُضابِ[2] الهوى ⁂ لآلـــيء[3] فـــي عَـــينِ مرتابهـــا[4]
كـــأن تعانُقَهـــا فـــي الجنـــوبِ[1] ⁂ تَعَـــانُقَ خَـــوْدٍ[2] لأترابهـــا[3]

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 48/1.
(2) الرضاب: الريق أو الريق المرشوف.
(3) لآليء: (ج) لؤلؤة وهو الدر.
(4) الرتابة: تكرار الشيء على وتيرة واحدة.

كـــأن ترقـــرقَ[4] أَجفانِهـــا ** بُكَاهَـــا لِفُرْقَـــة أَحبَابِهَـــا

يصور الأرض (الروضة) وكأنها فتاة جميلة، في حالة زهو وسرور بجمال أثوابها. فالشاعر يشبه الأرض بالفتاة، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله «مزهوة – ببهجة – أثوابها» على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي البيت الثاني والثالث: يشبه أزاهرها بالكؤس في أيدي الشاربين، حيث صور الزهرة والجزء المحيط بها، بالكأس الذي يمسكه شاربه بأنامله، وشبه الغصون بالأذرع الممتدة لتناول الكؤوس.

ويشبه خمرها (العنب) باللؤلؤ في الصفاء، وذلك في عين من اعتاد على رؤيتها.

وشبه تعانقها (تعانق أغصانها بريح الجنوب) بتعانق الشابة الجميلة لأترابها.

وفي البيت الأخير يشبه ورود الروضة وفوقها قطرات الندى بفتاة تبكي لفرقة أحبابها وحذف المشبه به (الفتاة) ورمز إليه بقوله «ترقرق أجفانها – بكاها» على سبيل الاستعارة المكنية.

فهذا الوصف الرائع للروضة، وزهورها، ونباتاتها، وأشجارها يشتمل على كثير من الصور التي تنبض بالحركة والحياة، بالإضافة للتعبير بأداة

---

(1) الجنوب: الجهة المقابلة للشمال: وريح تهب منها.
(2) خود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق.
(3) أتراب: جمع (التِّربُ) المماثل في السن وأكثر ما يستعمل في المؤنث.
(4) ترقرق: دمعت عينه، والرقراق من الدمع ما ترقرق منه.

التشبيه (كأن) التي تعتبر الأقوى في الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به.

وقال يوسف بن هارون[1]:

بكـتِ السَّـحابُ علـى الريـاضِ ** منهـا غُروسًـا[2] مـن دمـوع ثكُـولِ[3]
فَحَسَّـنَتْ
فكأنّهـا والطـلَّ[4] يُشـرْق فوقهـا ** وشـيُ[5] يُحـاكُ بلؤلـؤٍ مَفْصـولِ

عندما ينزل المطر من السحاب على الرياض فينبت الزرع، و يزين النباتات بقطرات من الماء. وفي قوله «بكت»: استعارة، فقد شبه المطر بالبكاء بجامع نزول الماء في كل ثم تنوس التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه، واشتق من البكاء بكت بمعنى أمطرت، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة إسناد بكت إلى السحاب؛ لأن السحاب لا تبكي.

والشاعر يصور السماء وهي تمطر بالمرأة الثكلى التي ينهمر دمعها، ثم يصور الرياض والمطر ينزل فوقها فيكسبها بهاءً وجمالاً، ويستخدم الشاعر التشبيه في رسم تلك الصورة، فقطرات المطر مشرقة فوق الرياض، وكأنها حبات من اللؤلؤ نقشت على الثوب، فازداد جمالاً ورونقًا.

وقال أيضًا[1]:

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 48/1.
(2) الغرس: غرس الشجر ونحوه غرسا: أنبته في الأرض.
(3) الثكلى: من فقد الولد أو الحبيب.
(4) الطل: المطر الخفيف يكون له أثر قليل.
(5) الوشى: نقش الثوب.

كـــأن الربيـــعَ الطلـــقَ أقبـــلْ مُهـــديًا ⁂ لطلعةِ معشوقٍ[2] إلى عَينِ مُغْرم[3]
تعَجَّبْتُ من غَوْصِ[4] الحيا[5] في حشا[6] ⁂ فأفْشى[7] الذي فيه ولم يتكلم الثـــــــــــــــــــــــــرى
كأنَّ الذي يُسْقى الثرى صرفُ[8] قهوةٍ[9] ⁂ تنمُّ[10] عليه بالضمير[11] المكـــــــــــــتَّم[12]

جاء فصل الربيع بجماله، يهدي لطلعة معشوق ينتظر طلعته من أحبه، فينظر إليه شوقًا وفرحًا برؤيته، وعندما نزل المطر، وغاص في التراب فأظهر ما كان مختفيًا داخل الأرض، وظهرت النباتات والأزهار تكسو المكان، وذلك بدون كلام، مثل الذي يشرب الخمر، فيذهب بعقله، ويظهر ما كان مختفيًا في نفسه فلا يدرك ما يقوله بفعل السكر.

وفي قوله «حشا الثرى» استعارة مكنية، حيث شبه الثرى بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحشا، والقرينة إثبات

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 49/1.
(2) معشوق: عشقه عشقا أحبه أشد الحب فهو عشيق، عاشق، معشوق.
(3) مغرم: أغرم بالشيء: أولع به فهو مغرم.
(4) غوص: غاص في الماء غوصًا نزل تحته.
(5) الحيا: المطر.
(6) الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال والكرسُ ما تبع ذلك.
(7) أفشى: أفشاه: نشره وأذاعه يقال: أفشى سره.
(8) صرف: شراب صرف غير ممزوج.
(9) قهوة: الخمر، وشراب مغلي البن.
(10) نم: الحديث – نما: ظهر وبين القوم وعليهم.
(11) الضمير: ما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه.
(12) المكتم: كتم الشيء كتمًا وكتمانًا: ستره وأخفاه.

الحشا للثرى. وشبه أيضًا الحيا بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو أفشى، والقرينة إثبات أفشى للحيا.

وفي البيت الأخير شبه سقيا المطر للثرى بالذي يشرب الخمر، ووجه الشبه ظهور شيئًا كان مختفيًا.

وقال أيضًا[1]:

كـــأن الســـحابَ الجَـــوْنَ[2] أعـــرسَ[3] بـــــــــــــــــالثرى * فـــلا[ح] شـــوارُ[4] الأرضِ فـــي كـــلِّ موضـــــــــــــــــع**

كـــأنَّ ســـرورَ الأرضِ حُـــزْنُ ســـحابها * إذا ما بكتْ[5] لاحتْ لنا في تصنّع[6]**

حبائـــبُ[7] لا يســـمحنَ إلا بلحظـــةٍ[8] * وَشـــمَّةِ[9] أنـــفٍ كالحبيـــبِ[10] الممنَّـــــــــــــــــع[11]**

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 49/1.

(2) الجون: الأسود.

(3) العرس: الزفاف والتزويج (ج) أعراس.

(4) الشوار: متاع البيت، وجهاز العروس.

(5) ما بكت: انظر ص 28.

(6) تَصَنُّعَ: تظاهر بما ليس فيه.

(7) حبائب: جمع حبيبة.

(8) لحظة: بالعين وإليه لحظا: نظر إليه بمؤخر عينيه.

(9) الاشم: المرتفع.

(10) الحبيب: المحبوب والمحب.

(11) الممنع: المنعة: العز والقوة.

شبه السحاب بالفتى، والثرى بالفتاة، وحذف المشبه به في كل منهما ورمز له بشيء من لوازمه وهو «أعرس» فالاستعارة مكنية، وصور منظر الأرض بعد نزول المطر عليها بجهاز العروس.

وفي البيت الثاني: يصور الأرض بفتاة مسرورة، والسحاب بفتاة حزينة وحذف المشبه به في كل منهما وهو الفتاة ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «سرور – حزن» الاستعارة مكنية.

فالشاعر يصور الأرض مسرورة، والسحاب تتظاهر بالبكاء، لكنه لا يدل على الحزن الحقيقي، فهذا البكاء (المطر) هو خير ونماء وخصب. والأرض والسماء كالحبائب اللاتي يشعرن بالكبرياء والعزة والكرامة، مثل الحبيب الذي يشعر بالعزة والقوة.

المبحث الرابع: في الورود

ولكثرة الورد في الأندلس، فقد أغرم الشعراء بوصفه أكثر من غرامهم ببقية الأزاهير، وعقدوا فيه المجالس البهيجة[1].

قال عبد الرحمن بن عثمان الأصم[2]:

شـــكرتُ لنيســـان[3] صـــنيعة مـــنعمٍ * لمـــا حـــاكَ عنـــدي مِـــنْ صـــنوفِ البـــــــــــــــــــــدائعِ**

درانيـــكُ أفـــواقٌ[4] تجلّـــتْ رُقَومهـــا[5] * بـــأحمرَ قـــانٍ[6] بـــين أصـــفر فـــاقعِ**

ورود تبـــاهي الشـــمسَ فـــي رونـــقِ الضَّـــــــــــــــــــحى[7] * بمطّلِعـــاتِ[8] كـــالنجوم الطوالـــع**

مُضـــرَّجَةٌ[9] أبشـــارهُنَّ[10] كأنهـــا * خـــدودٌ تجلّـــت عـــن حُســـورِ[11] البراقـــــــــــــــــــع**

يتحدث الشاعر عن شهر الربيع، يشكره على ما فعله من أنواع البدائع؛ فالزهور الجميلة تملأ المكان بألوانها الحمراء والصفراء، والورود

---

(1) الأدب الأندلسي، ص 280.

(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 56/1.

(3) نيسان: الشهر السابع من شهور السنة السريانية ويقابله إبريل في السنة الميلادية. حاك في كذا: أثر فيه.

(4) أفواق: الفوق، الزهر.

(5) رقوم: الرقم، العلامة.

(6) قان: شديد الحمرة.

(7) رونق الضحى: أوله، والضحى: ارتفاع النهار وامتداده.

(8) مطلعات: الطلعة، الوجه.

(9) مضرجة: تضرج بالدم، تلطخ، والخد أحمر.

(10) أبشارهن: البشرة: ظاهر الجلد، وبشرة الأرض: ما ظهر من نباتها.

(11) حسر: الشيء حسورًا، انكشف.

تتفاخر بمناظرها الجميلة، والشمس مشرقة فوقها في أول النهار، فهي كالنجوم المضيئة الظاهرة.

وقوله «تجلت رقومها» كناية عن ألوان وأشكال الزهر، وقوله «بأحمر قان بين أصفر فاقع» مقابلة تظهر جمال ألوان الزهر بين الأحمر شديد الحمرة، والأصفر الفاقع.

وقوله «بمطلعات» كناية عن موصوف وهو شكل الورود وهي تملأ الأرض بأشكالها الجميلة المشرقة، مثل النجوم التي تملأ السماء بإشراقها، فالصورة ترسم هيئة الأرض وما بها من ورود متفتحة جميلة وتقابلها بهيئة السماء وما بها من نجوم مضيئة، وتظهر دقة الوصف في احتراس الشاعر، وذكر مزيد من الوصف في قوله (الطوالع) لئلا يتوهم البعض أنها النجوم الآفلة أو (الأُفَّل).

وهذه الورود قد تلونت باللون الأحمر الذي يشبه خدود النساء وقد ظهرت من البراقع؛ فشبه الورود بخدود النساء في الاحمرار، وهذا من التشبيه المقلوب؛ لأن الأصل في الاحمرار للورد، فهنا شبه الأصل بالفرع، وقوله «مضرجة» كناية عن صفة الاحمرار، وقوله «أبشارهن» كناية عن موصوف وهو ما ظهر من نباتات الأرض والمقصود هنا (الورود).

وفي البيت الأول: استعارة مكنية، حيث شبه شهر نيسان بالإنسان الذي يوجه له الشكر على ما فعله من نعم، وقوله: «صنوف البدائع» كناية عن أصناف الزهر والورد التي حاكها نيسان.

وقال عبد الملك بن إدريس[1]:

أهـدىَ إليـك تحيـةً مـن عنـدِهِ ** زَمـنُ الربيـع الطلـق بـاكرَ وَرْدِهِ
يحكي الحبيبَ سرى لوعدِ مُحبِّه ** فـي طيـبِ نفحتِـه وَحُمْـرَةِ خـده

يأتي فصل الربيع بجوه اللطيف، وفي هذا الفصل من السنة تتفتح الأزهار والأشجار والورود، فالشاعر يشبه فصل الربيع بالإنسان الذي يلقي التحية، وهذه التحية عبارة عن مجموعة من الورود الجميلة، التي تشبه الحبيب الذي يأتي للقاء محبه في الميعاد، وتشبهه أيضًا في طيب الرائحة وحمرة الخد.

وقال لبٌّ بن عبيد الله[2]:

**صـابَحْتها والـروضُ يَسْـطَع[3] ** فكأنَّـه بالليـل بـاتَ مُغَلَّفـا[4]
مِسْـكُهُ**
والـوردُ يبدو فـي الغصـونِ كأنمـا ** أضـحى يُقَـارفُ مـن نـداه قَرقَفـا[5]

في البيت الأول: يصور الروض في الصباح حيث تفوح منه رائحة زكية مثل رائحة المسك، وكأنه كان بالليل مغلفا ثم نزع عنه الغلاف في الصباح فانتشرت الرائحة الزكية في كل مكان.

وفي البيت الثاني: يصور الورد وهو في الغصون والندى فوقه باردًا، حتى أنه يرتعد من شدة برودته الإنسان المبرود.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 56/1.
(2) المرجع السابق 57/1.
(3) سطع: انتشر أو ارتفع.
(4) الغلاف: الغشاء يغشى به الشيء كغلاف القارورة.
(5) (قرقف) المبرود: ارتعد من البرد.

وقال محمد بن شخيص[1]:

كـأنَّ انتثـار[2] الطـلِّ[3] فـي الـوردِ ** تَبـدَّى علـى زَهْـرِ الخـدود انتثارُهـا ادْمُـــــــــــــــــعٌ

كـأن جَنـيَّ الأقحُـوانِ[4] بروْضِـها ** ثغــورُ[5] العــذارى حــين راق[6] اثَغَارُهَـــــــــــــــــا

في البيت الأول تشبيه تمثيلي: شبه قطرات المطر فوق الورود بالدموع على الخدود، ووجه الشبه وجود أشياء متفرقة على شيء أحمر، وقوله: «زهر الخدود» كناية عن صفة وهي اللون الأحمر.

وفي البيت الثاني: يتحدث الشاعر عن زهر الأقحوان ببياضه الناصع الذي يلعب دائمًا بخيال الشعراء فيأتون فيه بصورة خلابة، ومنها هذه الصورة، حيث شبه زهر الأقحوان بثغور العذارى في الصفاء والنقاء والبياض، وقوله: «حين راق» كناية عن شدة الصفاء، وهي تؤكد المعنى وتقويه.

ولعل في هذا التشبيه كثيرًا من الانسجام بين البيتين، ففي البيت الأول يشبه الورد وفوقه قطرات المطر بالدمع على الخدود، وفي البيت

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 58/1.

(2) نثر: الشيء نثرًا ونثارا: رمى به متفرقًا.

(3) الطل: المطر الخفيف يكون له أثر قليل (ج) طلال.

(4) الأقحوان: نبت زهرة أصفر أو أبيض ورقه كأسنان المنشار، ومنها البابونج وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض منه (ج) أقاحي، وأقاح.

(5) الثغر: ما تقدم من الأسنان.

(6) راق: روقا: صفا.

الثاني يشبه زهر الأقاح بأسنان العذارى في البياض؛ فالتناسب بين الورد والأقحوان، وبين الخدود والأسنان.

المبحث الخامس: في تغريد الطير في الرياض ووصف الحمام

وإذا كانت الرياض تشكل مكانًا أمينًا رحيبًا للأطيار تمرح على أغصانها وتغرد على روابيها وتصدح بوحي من سحر أنسامها ورقة نوارها فإن الشاعر الأندلسي لم يفته أن يلتفت إلى طيور الرياض واصفًا إياها بكل مبدع مطرب خاصة وأن ألوان طيور الرياض بنقائها ونمنمتها وزركشتها توحي إلى الشاعر الفنان بالمعنى الجيد والوصف البديع[1].

فيقول يوسف بن هارون في أم الحسن[2]:

وخرساءَ[3] إلا في الربيع فإنها ** نظيرة[4] قُسٍّ[5] في العصور الذواهبِ

أتتْ تمدحُ النّوار[6] فوق ** كما يمدحُ العشاقُ حُسْنَ الحبائب
غصونها

تُبدِّلُ ألحانًا إذا قيل بدِّلي ** كما بدَّلتْ ضربًا أكفُّ الضوارب

تُغني علينا في عروضين شعرها ** ولكنَّ شعرًا في قوافٍ غرائب

إذا ابتدأت تُنشدكَ رجْزًا وإن تقُل ** لها بَدِّلي تُنْشِدْكَ في المتقارب

وليس لها تيه الطّرَاةِ بصوتها ** ولكنْ تُغَنِّي كلَّ صاحٍ وشارب

(1) الأدب الأندلس موضوعاته وفنونه، ص 272.

(2) أم الحسن: أنثى الطائر الذي يسميه المشارقة "الحسون" ويسميه أهل الأندلس "أبا الحسن". كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 60/1.

(3) خرساء: خرس انعقد لسانه عن الكلام خلقة أو عيًّا، فهو أخرس، وهي خرساء.

(4) نظير: الشيء مثله.

(5) قُس: قس بن ساعدة الأيادي أسقف نجران وكان أحد حكماء العرب.

(6) النوار: الزهر، واحدته نواره.

في البيت الأول قوله: «خرساء» كناية عن السكوت وعدم الكلام. وفيه أيضًا تشبيه، حيث شبه أم الحسن بقس بن ساعدة الإيادي في الخطابة والبلاغة. وفي قوله: «نظيرة قس في العصور الذواهب» تأكيد على مكانة قس وشهرته في الخطابة في عصره.

وفي البيت الثاني: شبه مدح أم الحسن للنوار فوق الغصون بمدح العشاق لحسن الأحبة، ووجه الشبه: الجمال في كلٍ. وفي قوله: «أتت تمدح» صور أم الحسن (أنثى الطائر) وكأنها شاعرة أتت لتمدح النوار وتثني عليه.

تُبـــدِّلُ ألحانًـــا[1] إذا قيـــل بـــدِّلي * كمـا بـدَّلت ضربًا أَكفُّ الضـوارب**

في قوله: «تبدل ألحانًا إذا قيل بدلي» يصور أم الحسن وكأنها مطربة تغني، وإذا طلب منها تبديل اللحن تلبي الطلب وتبدله. وفي البيت تشبيه: حيث شبه تبديلها للألحان، بتبديل أكف الضارب على الدف، ووجه الشبه: هو التنوع في الأداء للشيء، وفي قوله: «ضربا» كناية عن الضرب بالدُف.

تُغنـــي علينـــا فـــي عروضـــين[2] * ولكـنَّ شـعرًا فـي قـوافٍ غرائـب شـــــــــــــــــعرها**

وقوله: «تغني علينا في عروضين شعرها» يصور أم الحسن أنها مغنية وشاعرة، وأنها تنظم الشعر على بحرين من البحور الشعرية.

---

(1) اللحن: لحن في قراءته: غرد فيها بألحان، والأغنية وضع لها صوتًا موسيقيًا مناسبًا وتغنى به.

(2) العروض: علم موازين الشعر، وآخر شطره الأول.

إذا ابتـدأت تُنشـدكَ رجْـزًا[1] وإن تقُـــــــــــــــــل ⁂ لها بَدِّلي تُنْشِدْكَ في المتقارب[2]

وهي عندما تنشد تبدأ بالأرجوزة، وإذا طلب منها أن تنشد شيئًا آخر، أنشدتك من بحر المتقارب.

ولـــيس لهـــا تيـــه[3] الطُّـــرَاةِ[4] بصـــــــــــــــــوتها ⁂ ولكنْ تُغَنِّي كلَّ صاحٍ[5] وشارب

وليس لها تيه الطراة بصوتها، ولكن تغني لكل صاح وشارب. فقوله: «كل صاح وشارب» كناية عن الغناء في أي وقت، ولكل الناس باختلاف أصواتهم. والكلام استعارة في الأبيات حيث شبه أم الحسن بمغنية وشاعرة، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه قوله: «تمدح – تبدل – تغني – تنشدك» على سبيل الاستعارة المكنية.

وقال عبادة[6] في قُمْرِي[7]:

مُطـــوَّقٌ جـــوَّد فـــي شَـــدْوِهِ ⁂ كأنمـــا طُـــوِّقِ[8] إذ جَـــوَّدا
مـــال علـــى الحُـــوْطِ[1] فَشَـــبَّهْتهُ ⁂ بشـــاربٍ لمـــا انتشـــىَ[2] عربـــدا[3]

(1) رجز: الراجز – رَجْزًا، أنشد أرجوزة، الأرجوزة: المقطوعة من بحر الرَّجز.
(2) المتقارب: بحر من بحور الشعر.
(3) تيه: التيه المفازة تياه فيها.
(4) الطراة: الطاري هو الطارئ: أي الغريب. انظر التشبيهات 60/1.
(5) صحا: صحا من سكره من باب غدا فهو (صاحٍ): الصحو، ذهاب الغيم واليوم "صاح".
(6) كتبا التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 61/1.
(7) قمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت (ج) قمر، والأنثى قمرية.
(8) طوق: الطوق كل شيء مستدير، وكل ما أحاط بشيء خِلْقَةً كطوق الحمام أو صنعة كطوق الذهب والفضة.

كأنمـــا الطّـــلَّ[4] علـــى طَوْقِـــهِ ** دمـــعٌ علـــى عِقـــدِ فتـــاةٍ بـــدا

في البيت الأول: يصور طائر القمري وكأنه لما أجاد في شدوه، قدمت له جائزة على إجادته وهو الطوق. فجعل الطوق الذي خُلق به، كأنه طُوق به بعد إجادته.

وفي البيت الثاني: شبه القمري وهو يميل على الغصن، بالسكران الذي ساء خلقه، ووجه الشبه التمايل والاهتزاز. وفي قوله: «بشارب» كناية عن شرب الخمر.

والشاعر غير موفق في قوله: «لما انتشى عربدا»؛ لأنه شبه القمري بالسكران العربيد، وفي ذلك ذم له.

وفي البيت الثالث: تشبيه أيضًا: حيث شبه قطرات المطر على طوق القمري، بالدمع على عقد الفتاة، ووجه الشبه انتشار قطرات من الماء على شيء مستدير محيط بالرقبة.

وقال ابن هذيل في الحمام[5]:

غَنَّى وَفوْقَ جناحَيْهِ سَقيطُ ندى[1] ** والغيمُ يُنجزُ لِلحَوْذان[2] ما وعَدا

(1) الخوط: الغصن.
(2) (انتشى) فلان: بدأ سكره.
(3) عربد: ساء خلقه، والسكران على الناس: آذاهم.
(4) الطل: المطر الخفيف.
(5) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 62/1.

يهفو به خُوْطُ ريحانٍ تغازله ** في الجوِّ ريحٌ فتلوي[3] مَتْنَهُ[4] أَوَدَا[5]

إذا استقلَّ[6] ومسَّ الأرض تحسبُهُ ** مُصلِّيًا إن تلقّى سجدةً سجدا

له ثلاثة ألوانٍ تخالُ بها ** زُمُّردًا[7] وعقيقًا[8] جاوَرَا بَرَدا[9]

قوله: «غنى وفوق جناحيه سقيط ندى» كناية عن الغناء في الصباح الباكر؛ لأن الندى لا يكون إلا في الصباح الباكر.

وقوله: «والغيم ينجز للحوذان ما وعدا» فقد صور الغيم وكأنه إنسان وعد الحوذان بأن يسقيه بالماء، وأنجز الوعد وسقاه، فقد شبه الغيم بالإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «ينجز – ما وعدا» على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(1) الندى: بخار الماء يتكاثف في طبقات الجو الباردة في أثناء الليل، ويسقط على الأرض قطرات صغيرة.

(2) الحوذان: نوع من الزهر.

(3) فتلوى: التوى الشيء: انفتل وانثنى.

(4) متنه: المتن: الظهر.

(5) أودا: أودا: اعوج.

(6) استقل: ارتفع، يقال: استقل الطائر في طيرانه.

(7) زمرد: حجر كريم اخضر اللون شديد الخضرة.

(8) عقيق: حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص.

(9) البَرَدَ: الماء الجامد ينزل من السماء قطعًاصغارًا، ويسمى حب الغمام، وحب المزن.

وفي البيت الثاني: يقف الحمام على غصن ريحان، فتأتي الريح وتلوي ظهره فتجعله يعوج من الحركة. فقول الشاعر «تغازله في الجو ريح» كناية عن الحركة والاهتزاز.

وفي البيت الثالث: تشبيه تمثيلي، يشبه الحمام وهو يرتفع ويهبط على الأرض بالمصلي الذي يقف ويركع ويسجد، ووجه الشبه: الحركة المنتظمة وملامسة الأرض.

وفي البيت الأخير: شبه الحمام بألوانه الثلاثة بالزمرد، والعقيق، والبرد. حيث شبه لون الحمام بالزمرد، ووجه الشبه: الاخضرار، وشبهه أيضًا بالعقيق، ووجه الشبه: الاحمرار، ثم شبهه مرة أخرى بالبرد، ووجه الشبه البياض؛ فالشاعر يجعل للحمام ثلاثة ألوان وهي الأخضر، والأحمر بجوار الأبيض.

وقال أيضًا[1]:

مُطوَّقةٌ يغدو الندى في جَناحِها ⁂ لآليءَ[2] ليستْ من نظامٍ[3] ولا سِلْكِ
إذا انتقلتْ عن أيكها[4] فكأنما ⁂ قوادُمها[5] أجفانُ والهةٍ[6] تبكي

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 62/1.
(2) لآلي: (ج) لؤلؤة وهو الدر.
(3) نظام: نظم الأشياء – نظمًا الفها وضم بعضها إلى بعض، واللؤلؤ ونحوه جعله في سلك ونحوه.
(4) الأيك: الأيكة: الشجر الكثيف الملتف (ج) أيك.
(5) قوادم: (القادمة) إحدى ريشات عشر كبار، أو إحدى أربع في مقدم الجناح (ج) قوادم.
(6) والهة: (وله) فلان اشتد حزنه (ولهه) الحزن والوجد.

في البيت الأول: يشبه الندى على جناح الحمامة باللؤلؤ المنثور، وليس المنظوم، ووجه الشبه الصفاء والنقاء.

وفي البيت الثاني: يشبه قوادم الحمامة عندما تنتقل من أيكها بأجفان الوالهة التي تبكي، فالصورة مركبة من قوادم الحمامة والندى ينزل منها وأجفان الباكية الحزينة والدمع ينزل منها.

وقال أيضًا[1]:

ترى قطرات الطلِّ كالدِّر[2] فوقها * إذا انتفضت[3] في الأيك[4] تنثره[5] نثـــــــــــــــــــــــــــــــرًا**

إذا فرَّقَتْــهُ ألّــفَ[6] الغـيمُ غيــرهُ * عليهـا فقد شـبَّهْتُها قينـةً[7] سكرى**
تُـزاحمُ أخـرى مثلَهـا بعقودهـا[8] * ولم ترضَ باسترجاعِ منثورِها كِبرا**

في البيت الأول قوله: «ترى قطرات الطل كالدر فوقها» يشبه قطرات المطر على الحمامة بالدر، ووجه الشبه الصفاء والنقاء. وقوله: «إذا انتفضت في الأيك تنثره نثرا»، وإذا انتفضت فوق الشجرة، تساقطت قطرات المطر وتفرقت من عليها، وقوله: «تنثره نثرا» يناسب الدر، وهذا يقوي المشبه به.

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 63/1.
(2) الدر: اللؤلؤ.
(3) انتفضت: انتفض: الشيء: تحرك واضطرب.
(4) الأيك: الأيكة: الشجر الكثيف الملتف (ج) أيك.
(5) نثر: الشيء: نثرا ونثارا: رمى به متفرقًا.
(6) ألَّف: جمع.
(7) قينة: المغنية.
(8) العِقْدُ: خيط ينظم فيه الخرز ونحوه يحيط بالعنق (ج) عقودٌ.

وفي البيت الثاني: كلما فرقت الحمامة قطرات المطر من عليها، أسقط الغيم عليها المطر مرة أخرى، تشبيه: حيث شبه الحمامة بالقينة السكري، ووجه الشبه هو الحركة والاهتزاز المتتابع؛ فالمشبه وهو الحمامة يتساقط المطر عليها، فتنتفض وتتحرك حركات متتابعة لتسقط قطرات المطر من عليها، والمشبه به: وهو المغنية السكرى، والتي تهتز وتتحرك حركات غير إرادية بسبب السكر.

المبحث السادس: في المأكولات من الفواكه وغيرها

لم يكن طبيعيًا أن يفتتن الشاعر الأندلس بالطبيعة ممثلة في الروض والزهر ولا يفتتن بالثمرة الحلوة الغضة تملأ العين سحرًا والنفس بهجة، إن الكمثرى بنعومتها وأرضها والخوخة على غصنها، والرمانة بحسنها، كل ذلك كان مصدر وحي لشعراء الأندلس، وإن لم يكن بالقدر الذي أوحت به الرياض والأزهار.

وكان للعنب أيضًا نصيب عند شعراء الطبيعة بالأندلس، ولكن نصيبه عنقودًا أقل منه بكثير وهو معصور، وبعبارة أخرى لقد ادخر الشعراء وصفهم للعنب فاكهة لكي يضيفوه إلى رصيده وهو خمر. ويمضي شعراء الطبيعة الأندلسيون على نهج الفاكهة يعرضون لوصف الخضر التي تطهى طعامًا مثل الحمص والثريد، ويعرضون لوصف السمك[1].

قال أحمد بن عبد ربه في عنب أبيض وأسود[2]:

أهديت بيضًا وسودًا في تلونها * كأنَّها من بناتِ الروم والحَبشِ**
عذراءَ تُؤْكَلُ أحيانًا وَتُشْرَبُ * فتعصِمُ من جوعٍ وَمنْ عَطَشِ**
أحيانًا

في البيت الأول: تشبيه شبه العنب الأبيض ببنات الروم، في الإشراق والبياض؛ لأن معظم بنات الروم من الشقر. ويشبه العنب الأسود ببنات الحبشة، في السواد؛ لأن معظم بنات الحبش من السود.

(1) انظر الأدب الأندلسي 304/297.
(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 85/1.

وفي البيت الثاني: قوله «عذراء» بمعنى بكر، و«البكر» أول كل شيء، فقوله «عذراء» كناية عن أول قطفة من العنب.

وقوله: «تؤكل أحيانًا» كناية عن ثمرة العنب، وقوله: «تشرب أحيانًا» كناية عن عصير العنب، والمقابلة بين شطري البيت تؤكد المعنى وتقويه، حيث قابل بين الأكل والجوع، والشرب والعطش.

وقال ابن هذيل في العنب[1]:

وبسلٍّ فيه من العِنَبِ الغضِّ[2] ** شبيهُ العنابِ[3] في الإحمرار
رقَّ[4] منه أديمهُ[5] فهو ** يُسْتَامُ بين أيدي التَّجارِ
كاليواقوت[6]
وَغَذَتْهُ الأيَّامُ فهو أنابيبُ[7] ** طوالٌ على جِفَانٍ قِصَارِ

في البيت الأول: يشبه الشاعر العنب الطري بالعناب، ووجه الشبه: الاحمرار. ويشبه الأديم منه بالياقوت، ووجه الشبه أيضًا: الاحمرار، وهذا

(1) المرجع السابق 86/1.
(2) الغض: النبات وغيره صار طريًا ناضرًا فهو غض.
(3) العناب: شجر شائك من الفصيلة السدرية، ويبلغ ارتفاعه بضعة أمتار، ويطلق العناب على ثمرة أيضًا، وهو أحمر حلو لذيذ الطعم، على شكل ثمرة النبق.
(4) رق: دق ونحف ولطف ولان وسهل.
(5) أديم: كل شيء ظاهره، وأدم: اشتدت سمرته.
(6) الياقوت: حجر من الأحجار الكريمة وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ولونه شفاف مشرب بالحمرة، أو الزرقة، أو الصفرة.
(7) نبب: النبات صارت له أنابيب.

العنب غذته الطبيعة حتى نضج وصارت له أنابيب. وقوله: «على جفان قصار» الجفان: جمع جفن وهو قضب العنب، ويعني هنا أصله[1].

وقوله: «غذته الأيام» مجاز عقلي[2] علاقته الزمانية، فقد أسند «غذته» إلى الأيام، والأيام ليست هي الفاعل في حقيقة الأمر بل زمن للتغذية.

وقال علي بن أبي الحسين في التوت[3]:

أبدى لنا التوتُ[4] أصنافًا من الحَبَشِ ** جُعْدَ الشُّعُورِ[5] من الأَطباقِ في فُرُشِ

كأنَّ أحمرَها مِنْ بَيْنِ أَسْوَدِهَا ** بقيةَ الشَّفَقِ[6] البادي مع الغَبَشِ[7]

في البيت الأول: شبه التوت بالحبش جعد الشعور، ووجه الشبه هو السواد والتجعد.

وفي البيت الثاني تشبيه تمثيلي، يشبه الأحمر والأسود منه بالشفق مع الغبش. فالمشبه صورة التوت الأحمر والأسود معًا، والمشبه به صورة

(1) انظر كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 86/1.
(2) المجاز العقلي هو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مائعة من إرادة الإسناد الحقيقي. انظر: بغية الإيضاح 47/1.
(3) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 86/1.
(4) التوث: التوت.
(5) جعد الشعور: اجتمع وتقبض والتوى.
(6) الشفق: الحمرة بين غروب الشمس إلى وقت الشتاء.
(7) الغبش: ظلمة آخر الليل.

الحمرة عند الغروب مع ظلمة الليل، ووجه الشبه اختلاط اللونين الأسود مع الأحمر.

والرمان في جمال منظره وحلو مخبره من الأثمار التي أوحت إلى الشعراء معاني طريفة عذبة، وربما كانت وهي على غصنها نورة جلنارة تشكل منعطفًا آخر في خيال الشعراء لا يقل عطاء عن وحيها وهي ثمرة، وهي في الوقت نفسه كثمرة ليست أقل جلالاً ولا أدنى فتنة من ثمرة النارنج وأختها ثمرة الأترج اللتين فتنتا الشعراء وفتقت روائع أبكار المعاني من خلال وحيهما.

إن الشاعر أحمد بن محمد بن فرح يقدم صورة بهية لثمرة الرمان السفرى يلعب فيها بالمعاني والألفاظ ما شاءت له قريحته أن يلعب، فهي تارة حق مليء بالجوهر، وتارة أخرى مليء بالمرجان الأحمر، وإن حباتها تشبه لثة الحبيب لعابًا ومنظرًا فيقول ابن فرح[1]:

وقال أحمد بن فرج في رمان[2]:

ولابســـةٍ صَـــدَفًا[3] أَصْـــفَرا ⁂ أَتَتْـــكَ وقـــد مُلِئَـــتْ جَـــوْهَرا[4]
كأنَّـــكَ فـــاتِحُ حُـــقٍّ[1] لطيـــفٍ ⁂ تَضَـــمَّنَ مَرْجَانَـــه[2] الأحمـــرا

---

(1) الأدب الأندلسي، د/ مصطفى الشكعة ص 302. نفح الطيب 15/2. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرّي التلمساني المتوفي 1041هـ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 86/1.

(3) الصدف: المحارة وغشاء الدر.

(4) الجوهر: الحجر النفيس.

حُبوبًا كمثلِ لِثَاتِ[3] الحبيبِ ** رُضابًا[4] إذا شئتَ أو منظرا

في البيت الأول: قوله: «ولابسةٍ» كناية عن الرمان، حيث شبه قشرة الرمان بالصدف الأصفر، وشبه حب الرمان بالجوهر، بجامع القيمة الكبيرة في كل، استعارة تصريحية.

وفي البيت الثاني: يشبه الرمانه عند فتحها بالحق اللطيف، الذي يتضمن المرجان الأحمر، فالمشبه مركب من الرمانة عند فتحها وبداخلها الحب الأحمر، والمشبه به مركب أيضًا من الحق عند فتحه وبداخله المرجان الأحمر.

وفي البيت الثالث: يشبه حبوب الرمان بلثات الحبيب، ووجه الشبه هو الريق والطعم، أو الشكل واللون، أيهما شئت.

وقال في مثله[5]:

ثَمرٌ أَتاكَ جَنَاهُ[6] في غُلُفِ ** كالجوهر المكنون في الصَّدفِ

يشبه حبوب الرمان وهي بالداخل وحولها غلاف خارجي، بالجوهر المكنون داخل الصدف. فالمشبه مركب من حبوب الرمان وحولها الغلاف،

---

(1) الحق: وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج.
(2) المرجان: جنس حيوانات بحرية لها هيكل وكِلْسٌ أحمر يعد من الأحجار الكريمة.
(3) اللثة: ما حول الأسنان من اللحم.
(4) الرضاب: الريق.
(5) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 87/1.
(6) جنى: الثمرة ونحوها جنى، وجنيا اقتطفها من منبتها.

والمشبه به مركب أيضًا من الجوهر الموجود داخل الصدف، ووجه الشبه: الحفظ والصيانة.

وقال ابن هذيل في خوخة[1]:

فـي نِصْـفِها مـن خَجْلهـا حُمْـرَةٌ * وَبَيْنَـها طُرْقٌ[2] لطـافُ[3] دِقـاقْ[4]**
كأنّهـــا فـــي بعضـــها عاشـــقٌ * زاحمهـــا للّـــثمِ[5] أو للعنـــاقْ**

في البيت الأول: يشبه نصف خوخة في احمرارها باحمرار وجه الفتاة عند خجلها، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (حمرة الخجل). وفي قوله: «وبينها طرق لطاف دقاق» ويشبه بذرة الخوخ بالطرق «الحصى»، ووجه الشبه: هو الشكل والرقة.

وفي البيت الثاني: يشبه بذرة الخوخ بالعاشق، فالبذرة في التصاقها بالخوخة مثل العاشق الذي يقترب من المعشوق للثم أو للعناق، ووجه الشبه: شدة الالتصاق والاقتراب بين الشيئين.

وقال أحمد بن عبد ربه في نعته سمكًا[6]:

أهديتُ أزرق[7] مَقْرونًا[8] بزرقـاءِ * كالمـاءِ لـم يَغْـذُهَا شـيءُ سـوى المـــــــــــــــــــــــاءِ**

---

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 87/1.
(2) طَّرْق: الضرب بالحصى وهو ضرب من النكهن.
(3) لطاف: لطف الشيء، لطفا، ولطافه: رق ولان، فهو لطيف (ج) لِطاف.
(4) دقاق: دق الشيء: يدق بالكسر (دقه) صار دقيقًا.
(5) اللثم: فم المرأة لثمًا: قَبَّلْهُ.
(6) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 87/1.
(7) أزرق: بَيِّنُ (الزرق) أي شديد الصفاء، ويقال للماء الصافي (أزرق).
(8) قارنه: مقارنة، وقرانًا: صاحبه واقترن به.

ذَكاتُها[1] الأخْذَ لا تنفكَّ طاهرةً ** في البَرِّ والبحر أمواتًا كأحياءِ

في البيت الأول: يشبه السمكة في زرقتها بالماء، ووجه الشبه: شدة الصفاء. وقوله: «أزرق» كناية عن الماء، وقوله: «زرقاء» كناية عن السمكة.

وفي البيت الثاني: قوله «ذكاتها الأخذ» المعنى أنها وهي سمك لا تحتاج ذبحًا، فذبحها هو أخذها. وقوله: «في البر والبحر أمواتًا كأحياء» يقصد إباحة أكل السمك الميت فهو مثل الحي حلال، ولا يخفى جمال المقابلة بين قوله «البر – أمواتًا» فالسمك إذا خرج من البحر إلى البر يموت. وقوله: «البحر – أحياءً» السمك يعيش في البحر فناسب ذلك كلمة أحياء.

وقال محمد بن شخيص[2]:

إنَّ حُسْنَ الرياضِ صاغَ لها الظلُّ[3] ** بُرودًا[4] من ناضر الأقحوان[5]

من مجالِ الأكفِّ في سُفْرةٍ تحوي المنثور ** صنوفَ الحيتان والخرفان

وكأنَّ الثريد[6] والحِمَّصَ[7] تاجٌ مُكَلَّلٌ بجُمان[8] ** وكأنَّ

---

(1) الذكاة: الذبح أو النحر.
(2) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 87/1.
(3) الظل: ضوء الشمس إذا اشتدت عنك بحاجز (ج) ظلال.
(4) برودًا: برد الشيء بردًا، وبرودًا هبطت حرارته.
(5) الأقحوان: اسم يطلق على أنواع نباتية من الفصيلة المركبة: البابونج.
(6) الثريد: ما يفت من الخبز، ثم يبل بمرق.
(7) الحمص: نبات زراعي عشبي من القرنيات الفراشية.
(8) الجمان: اللؤلؤ.

وتخالُ الزيتونَ في قصع الصِّينِ ** صُـــدورًا نُقِّطْـــنَ بـــالخيلان[1]

يصور الشاعر منظر الرياض وما بها من زهور وهواء بارد، وينتقل ليصور مشهدًا آخر لسفره بها طعام من الحيتان والخرفان تصل إليها كل الأيدي، وفيها أيضًا الثريد وفوقه الحمص، وأيضًا قطع من الزيتون.

وقوله: «وكأن الثريد والحمص المنثور تاج مكلل بجمان» و«وتخال الزيتون في قصع الصين صدورًا نفطن بالخيلان» يشبه الثريد والحمص المنثور فوقه بالتاج المرصع بحبات اللؤلؤ، ويشبه أيضًا الزيتون في القصع بالصدور التي فوقها شامات سوداء، ووجه الشبه: وجود أشياء صغيرة متفرقة سوداء على سطح شيء آخر، وتشبيه الثريد بالتاج تشبيه بعيد، فلا يوجد تناسب بين الثريد والتاج، ولكن المناسبة في تشبيه الحمص المنثور بالجمان، فوجه الشبه: هيئة أشياء متفرقة صغيرة منثورة على سطح شيء آخر، وذلك يوضح أن اهتمام الشاعر كان بالشيء المنثور فقط دون النظر في الصورة الكاملة للتشبيه.

(1) الخال: شامة سوداء في الوجه (ج) خيلان.

المبحث السابع: في الشراب وأوصاف الخمر

قال أحمد بن عبد ربه[1]:

ورادعـةٍ[2] بأنفـاسِ[3] العبيـرِ[4] ⁂ مُقَنَّعَـةِ[5] المفـارق[6] بـالقَتيرِ[7]
جَلَتْهَـا[8] الكـاسُ فاطّلَعَـت علينَـا ⁂ طلـوعَ البِكْـرِ فـي حُلَـلِ[9] الحريـر
كـأن كؤوسَـها يحملـنَ منهـا ⁂ شُموسًـا أَلْبِسَـتْ خِلَـعَ البـدور
كـأن مِزَاجَهـا لمـا تجلّـتْ ⁂ بصـحن زُجاجهـا نـارٌ بنـور
كـأن أَديمهـا ذَهَـبُ عليـه ⁂ أكاليـلٌ مـن الـدِّر النثيـر

وقوله: «رادعة بأنفاس العبير» كناية عن الرائحة الطيبة للخمر، وفيها أيضًا استعارة مكنية: حيث شبه العبير بالكائن الحي الذي يتنفس. وقوله: «مقنعة المفارق بالقتير» كناية عما يعلو الخمر من زبد، أو استعارة حيث شبه الزبد الذي يعلو الخمر، بالشيب الذي يغطي رأس المرأة، بجامع الظهور والوضوح.

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 89/1.
(2) رادعة: ملمعة بالطيب.
(3) أنفاس: النفس: الريح تدخل وتخرج من أنف الحي ذي الرئة وفمه حين التنفس (ج) أنفاس.
(4) العبير: أخلاط من الطيب.
(5) مقنعة: القناع: ما تغطي به المرأة رأسها وما يستر به الوجه (ج) أقنعة.
(6) المفارق: المفرق من الرأس حيث يفرق الشعر (ج) مفارق.
(7) القتير: الشيب.
(8) جلا: أي أوضح وكشف، جليت السماءُ – جلا: أصبحت صافية.
(9) الحلل: (الحلة) الثوب الجيد الجديد.

وفي البيت الثاني: يشبه الخمر وقد أظهرتها الكأس صافية واضحة، بالفتاة البكر الشابة عند طلوعها وهي ترتدي أثوابًا جميلة من الحرير (تشبيه بليغ) لأنه يحتاج لإعمال الفكر بسبب لطف المعنى ودقته.

وفي البيت الثالث: يشبه الخمر بالشموس في الإشراق والإضاءة، ثم يصور الكؤوس وكأنها تلبس أثواب البدور، فهي صافية مضيئة لامعة.

وقوله:

كـــأن مِزَاجَهـــا[1] لمـــا تجلّـــتْ * بصـحن[2] زُجاجهـا نـارٌ بنـور[3]**

حيث يشبه مزيج الخمر وهو في قدح من الزجاج، بالنار وسط النور، فالمشبه مركب من مزيج الخمر وهو في القدح الزجاجي، والمشبه به النار وسط النور، ووجه الشبه: الظهور والسطوع والإضاءة.

وقوله:

كـــأن أَديمهـــا[4] ذَهَـــبُ عليـــه * أكاليـــلٌ مـــن الـــدِّر النثيـــر**

وفي البيت يشبه أديم الخمر بالذهب وفوقه أكاليل من اللؤلؤ المنثور، فالمشبه: الخمر وما يعلوها من زبد، والمشبه به: الذهب ويعلوه أكاليل من اللؤلؤ المنثور، ووجه الشبه هو اللون ووجود أشياء كثيرة متفرقة تعلو عل السطح.

وقال العتبى[1]:

---

(1) مزاج: ما يخرج به الشراب ونحوه، مزج الشراب، مزجًا: خلطه بغيره.
(2) الصحن: القدح العظيم.
(3) النور: الضوء وسطوعه.
(4) أديم: أديم كل شيء ظاهره، يقال أديم النهار بياضه.

وعاتِكَــةٍ[2] كعَــيْنِ الــدِّيكِ بِكْــر ** تَقَضَّتْ في الدنانِ[3] لها دهُور[4]
تــرى بــين المــزاج لهــا حَبَابًــا[5] ** كــأن نثيــرَهُ الــدرُّ[6] النثيــر
تخــالُ كؤوسَــها والليــلُ داجٍ ** كواكــبَ بــين أيــدينا تــدور

قوله: «وعاتكة» استعارة تصريحية: شبه الخمر بالعاتكة بجامع الحمرة، ثم شبهها بعين الديك لصفائها. وقوله: «بكر» كناية عن أولها؛ لأن «البكر» هو أول كل شيء. وقوله: «تقضت في الدنان لها دهور» كناية عن جودتها؛ لأن الخمر كلما تركت «فاختمرت» وتغيّر ريحها كان ذلك أجود.

وفي البيت الثاني: يشبه تثير الحباب وهو يطفو فوقها بالدر المنثور، وفي البيت الأخير: يشبه كؤوس الخمر بالكواكب في الليل المظلم، ووجه الشبه: الإشراق والإضاءة.

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 90/1.
(2) عاتكة: العاتكة الشديدة الحمرة، وهي التي تكثر من الطيب حتى تحمر بشرتها.
(3) دنان: الدنُّ وعاء ضخم للخمر ونحوها (ج) دنان.
(4) الدهر: الزمن الطويل.
(5) الحباب: فقاقيع تظهر على وجه الماء تصنعها الريح: ويقال طفا الحباب على الشراب.
(6) الدر: اللؤلؤ.

وقال محمد بن إسماعيل النحوي[1]:

فَتَبَسَّـمَتْ منـــهُ إليـــكَ مُدامَـــةٌ[2] * كـــالبَرْقِ لاحَ بظلمـــةٍ فأنَارهـــا**
وكأنّهـــا لمـــا زَهَـــتْ[3] بِحَبَابهـــا * خَـوْدُ[4] تَريـكَ عقودَهـا وسـوارَها**

قوله: «فتبسمت منه إليك مدامة» استعارة مكنية، حيث شبه المدامة بالفتاة التي تبتسم، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله: «فتبسمت». وشبه المدامة أيضًا بالبرق في الإنارة، فهي مشرقة مضيئة كالبرق المضيء في الظلام.

وفي البيت الثاني: يشبه الخمر وهي صافية مشرقة وفوقها الحباب بالشابة الجميلة التي تتزين بالعقود والسوار مما يبرز جمالها، والتشبيه في البيت يبرز الصورة ويؤكدها في النفس، والشاعر يقابل بين الخمر الصافية وهي تتزين بالحباب، وبين الفتاة الجميلة وهي تتزين بالعقود والسوار.

(1) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس 90/1.
(2) المدامة: الخمر.
(3) زهت: زهوا، وزهوا: تاه وتعاظم وافتخر، واللون صفا وأشرق.
(4) الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق.

الخاتمـــــــة

لما كانت الأندلس بلاد الطبيعة الساحرة والمناظر الخلابة، والأزهار والورود، والنوار والرياحين، والجداول والغدران والأنهار والخلجان، والأفياء والأغصان، فقد كان من الطبيعي أن يحتفي شعراؤها بوصف الطبيعة متمثلة في كل تلك المعاني التي ذكرنا، فتركوا تراثًا من الشعر في وصف الروضيات وما يلحق بها يكاد لقدره وبهائه لا يوجد عند أمة أخرى من تلك التي مارست الأدب الرفيع[1].

وقد أثبت البحث اهتمام الشاعر الأندلسي بالصورة البيانية، مما يدل على أهمية علم البيان في تحسين المعنى بطرق مختلفة بعد وضوح الدلالة عليه. وقد تبين لنا من خلال هذه المختارات ما وصل إليه الشعر الأندلسي من عناية بالصورة في وقت مبكر من تاريخه، حتى أصبح طلب الصورة فيه غاية كبرى، وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال الأبيات التي اشتمل عليها «كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس» وهي من عيون الشعر الأندلسي.

وأخيرًا، فإن القيام بمثل هذه الدراسات التطبيقية يحتاج جهدًا كبيرًا، وإلمامًا بالقواعد البلاغية، وأهمية مثل هذه الدراسات أنها تساعد في تطوير وتحديث علوم البلاغة بما يتناسب مع العصر الحديث.

(1) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص 13.

المصـــــــادر والمراجـــع

- الأدب الأندلسي، د/ مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، ط 9، 1973م.
- أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني، طبعة المنار.
- الإيضاح للخطيب القزويني، شرح وتعليق د/ فتحي عبد القادر، د/ إبراهيم التلب، د/ فتحي حجازي، 1430هـ - 2009م.
- بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي المطبعة النموذجية، ط 5.
- البيان في ضوء أساليب القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، ط 2، 1995م.
- البيان في ضوء الأساليب العربية، د/ عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر، 2000م.
- التعبير الفني في القرآن الكريم، د/ بكري شيخ أمين ط 1، 1994م، دار العلم للملايين.
- التفسير الميسر د/ محمد سيد طنطاوي، طبعة 2010-2011م.
- تهذيب السعد: سعد الدين التفتازاني، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده.
- دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط 6.
- زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، الشيخ أحمد الحملاوي، 1391هـ - 1971، ط 7.

- شروح التلخيص، للتفتازاني والمغربي والسبكي، دار السرور، بيروت، لبنان.
- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، لبهاء الدين السبكي، دار السرور، بيروت، لبنان.
- عقود الجمان، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، المطبعة الشرفية في مصر، ط 1.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، دار التنوير، بيروت، لبنان.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط 1421هـ – 2000م.
- المنهاج الواضح في البلاغة، حامد عوني 1398هـ – 1978م.
- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربي، دار السرور، بيروت، لبنان.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقّري التلمساني، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

فهـــــــــــــرس الموضوعـــــــــــــات

الموضـــوع

المقدمة.....
التمهيد .....
مختارات من التشبيهات .....
المبحث الأول: في السماء والنجوم والقمر.....
المبحث الثاني: في انبلاج الصبح والريح .....
المبحث الثالث: في الربيع والزهر.....
المبحث الرابع: في الورد .....
المبحث الخامس: في تغريد الطيور في الرياض ووصف الحمام .....
المبحث السادس: في المأكولات من الفواكه وغيرها.....
المبحث السابع: في الشراب وأوصاف الخمر.....
الخاتمة.....
فهرس المراجع والمصادر.....
فهرس الموضوعات.....

الزهراء